الفصل الثالث

# أشهـــر رواة الحديـــث

# من

# الصحابة والتابعين

# وتـابعى التابعين

obeikandl.com

obeikandl.com

# أبـو هريـــرة - رضى الله عنه -

هو عبد شمس بن عامر بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن مالك بن نضر بن الأزد، وهو دوسى من دوس فى اليمن. وقـد سمـاه النبى ﷺ عبد الرحمن. لأنه لم يكن يترك أسماء الجاهلية مستمرة فى الإسلام مثل: عبد شمس وعبد مناف وعبد العزى وغيرها.

وهو ذلكم الصحابى الجليل الذى أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وبعد عودته من خيبر لزم صفة مسجده ﷺ مع صفوة الصحابة الفقراء الذين حبسوا أنفسهم على العبادة، وطلب العلم والجهاد فى سبيل الله ابتغاء فضله ورضوانه ونصرة لله ورسوله. وقد لزم النبى ﷺ ليتعلم منه.

**سبب كنيته بأبى هريرة:**

قد كنى بأبى هريرة لأن رسول الله ﷺ رآه يحمل هرة فى كمه ويسير بها فى النهار فقال له أنت أبو هريرة ، ولقد اشتهر ﷺ فى الإسلام بهذه الكنية ولم يعرف باسمه.

**نشأته وكيفية إسلامـه:**

هو من قبيلة تدعى دوس باليمن تعبد الأوثان، ولقد هدى الله أمه إلى الإسلام، ثم أسلم أبو هريرة بعدها، فهاجر إلى النبى ﷺ وهو شاب فى السابعة والعشرين من عمره وأعلن إسلامه وصدق فى إيمانه، ولقد هاجر فقيرا لا مال له ولا متاع ولا مأوى، فآواه رسول الله ﷺ فى الصفة.. ولازم الرسول ﷺ وكان لا يؤثر على مجلسه شيئا فلم يشغله طلب المال عنه ﷺ فتعلم الكثير من رسول الله ﷺ وسمع الكثير مما لم يسمعه الصحابة - رضى الله عنهم - لشغل بعضهم بالصفق فى الأسواق وبالزراعة وبالأهل والأولاد والأموال.

ويقال إن الرسول ﷺ دعا له بالحفظ ، فحفظ ما لا يحفظون، فقد قـال يومـا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنى أسمع منك حديثا كثيـرا أنسـاه، قـال: "أبسط رداءك فبسطته فغرف بيديه، ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيئا بعده"[1].

---

(١) البخارى ج ١ ص ٢٤ مسلم ج ١٠ ص ٥١.

وتمتع أبو هريرة بعد ذلك بذاكرة نادرة بين الناس. فكان سريع الحفظ ، يختزن ما يسمع ثم يرويه بدقة متناهية دون إغفال أدنى الفواصل أو الكلمات.

وتروى قصص كثيرة عن قوة الذاكرة عند أبى هريرة، وأكثرها شهرة ما حصل له أمام مروان بن الحكم وكان يومها والياً على المدينة المنورة، فقد استدعى مروان بن الحكم أبا هريرة بعد أن أجلس كاتبه خلف مقعده فى مكان لا يراه أحد. وطلب إليه أن يدون على ورقة كل ما يدور من حديث بينه وبين أبى هريرة.

وبدأ مروان يحدث ويسأل، وأبو هريرة يجيبه ويحدثه. والكاتب يدون ما يدور من حديث.

حتى إذا انتهى مروان من الحديث أمر كاتبه أن يظهر،ثم طلب إلى أبى هريرة أن يعيد الحديث الذى دار بينهما.

فجعل أبو هريرة يسترجع من ذاكرته كل الحديث الذى تبادلاه ويرويه بدقة متناهية، وكاتب مروان يتبعه على الورقة. فما قدم حرفاً ولا أغفل[1] كلمة.

ويعد أبو هريرة ﷺ من أكثر الصحابة رواية للحديث عن رسول الله ﷺ فله خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا، فى البخارى منها أربعمائة وستة وأربعون، وقد أخذ عنه ما يزيد على ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى وخاصة سعيد بن المسيب صهره والأعرج مولاه.

وقد كان كذلك مع قصر عهده مع رسول الله ﷺ لأنه ترك كل شيء فى سبيل أخذ الحديث عنه ﷺ، فحضر ما لا يحضره غيره وسمع فيما لا يسمعون ، كما أنه ﷺ قد دعا له بالحفظ فاستجيبت دعوته، وكان أحفظ الصحابة للحديث ، كما أنه عاش فترة طويلة بعد وفاته ﷺ واحتاج الناس فيها إلى علمه وفتواه لموت كثير من الصحابة ولتفرق بعضهم فى الأمصار، ولقد عاش حتى سنة ثمانى وخمسين من الهجرة، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدث بحديث واحد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩- ١٦٠ ].

---

(١) أغفل : نسى .

وكان ﷺ أول من دون الحديث، فقد أملى صحيفته الصحيحة على تلميذه همام التابعى وفيها ما يقرب من مائة وأربعين حديثا.. وقد استعمله عمر ﷺ على البحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل ثانية فأبى ليتفرغ للعبادة والتعليم.. ولقد أعزه الله بالإسلام وأغناه ، وكان صواما، قواما، شديد التواضع، وكان ناصحا لأصحابه، وقد قال يوما: ألا أدلكم على غنيمة باردة قالوا ماذا يا أبا هريرة قال: "الصوم فى الشتاء. وذلك لقصر النهار وضعف الحرارة فيه"..وكان ﷺ صحابى كريم برىء كل البراءة من حقد الحاقدين الذى دفعهم إلى طعنه بما يعد محمدة له ومكرمة.

رحم الله أبو هريرة الذى توفى عن عمر ثمانية وسبعين عاما فى العام التاسع والخمسين للهجرة فى بيته بالعقيق وحمل إلى المدينة المنورة ودفن فى البقيع، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وكان أميراً على المدينة لعمه معاوية بن أبى سفيان.

رحمه الله فقد كان أبو هريرة شخصية فذة من شخصيات التاريخ الإسلامى، فقد امتاز بذكاء نادر، وذاكرة عجيبة، وثقة بالنفس، بجانب خفة الروح ونعومة المعشر ولطف المحادثة، فكان دوما يحيط مجلسه جوا من الأنس واللطف وراحة النفس.

كما أنه امتاز بشجاعة أدبية كبيرة وجرأة قوية فى قول الحق والصواب، فقد عاش حياته تقيا مؤمنا.. يكثر الحديث ويكثر العبادة ويكثر قيام الليل. رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

* * *

# عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه -

هو أحد المبشرين بالجنة.. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا فى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق ﷺ.

وكان من المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، حيث آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع.

وكان عبد الرحمن عفيفا كريما، هاجر وترك ماله وأبى أن يكون عبئا على غيره ورفض أن يأخذ من الناس ما قل أو كثر، وسأل عن السوق فباع واشترى وبارك الله له حتى كان عظيم التجارة، كثير المال، ذا حظ فيها وقد نالته دعوة الرسول الله ﷺ بالبركة له فقال: "لقد رأيتنى ولو رفعت حجرا رجوت أن أصيب تحته ذهبا أو فضة".

ولقد كان عظيم النفقة بماله فى سبيل الله فقد تصدق على عهد رسول الله ﷺ بنصف ماله أربعة آلاف دينار، ثم تصدق بأربعين ألفا، ثم تصدق بأربعين ألف دينارثم حصل على خمسمائة فرس فى سبيل الله.

ولقد كان يحسن بماله كما أحسن الله إليه وكان يجمع ماله من حلال وينفقه فيما يرضى الله ومع ذلك كان يخشى الله تعالى، فقد روى أنه أتى بطعام وكان صائما فقال: "قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردته إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدت رأسه"، قال الراوى وأراه قال: "قتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام"(١).

وقد شهد عبد الرحمن المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقد جرح يوم أحد واحداً وعشرين جرحا، وكان بعضها فى رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أهتم، وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل وعممه بيده وأسدل العمامة بين كتفيه ففتح الله عليه.

---

(١) البخـــارى.

وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعلى وعثمان والزبير وطلحة وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف.

وتوفى الرسول ﷺ وهو راض عنه، وقال فيه: "عبد الرحمن بن عوف أمين فى السماء أمين فى الأرض" ، وقد صلى رسول الله ﷺ خلفه فى أحد الأسفار فقد كان ﷺ فى سفر فتخلف وتخلف معه المغيرة بن شعبة وحين انتهيا إلى القوم وقد قاموا فى الصلاة يصلى بهم عبد الرحمن بن عوف وقد ركع بهم ركعة فلما أحس بالنبى ﷺ ذهب يتأخر فأومأ إليه فصلى بهم فلما سلم قام النبى ﷺ وقام المغيرة فركعا الركعة التى سبقتهما"(١).

وقد جعله عمر ﷺ من أهل الشورى الذين يختارون خليفة المسلمين من بعده لأن الرسول ﷺ توفى وهو عنه راض. ولما توفى عمر قال عبد الرحمن لأهل الشورى فمن يخرج منها ويختار للمسلمين فلم يجيبوه إلى ذلك فأجاب هو فوافقوه وأخذ المواثيق عليهم فاختار عثمان وبايعه، وهذا إن دل فإنما يدل على ذكائه وحرصه على مصلحة المسلمين وعدم رغبته فى الدنيا.

وقد كان من حفاظ الحديث وروى عنه ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وجبير بن مطعم، وروى عنه أبناؤه إبراهيم وحميد وأبو سلمة ومصعب، وروى عنه ابن أخته وغيرهم.

وقد توفى سنة إحدى وثلاثين بالمدينة عن خمس وسبعين سنة وأوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله لمن بقى من الصحابة، فمن شهد بدرا لكل رجل أربعمائة فأخذوها، وأوصى بألف فرس فى سبيل الله، وقد ترك مالا عظيما من ذهب، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة. ولما مات قال على ﷺ: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صلوها وسبقت رنقها (٢).

* * *

(١) مسلم ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٠ .

# أبـــو ذر الغفـــارى - رضى الله عنه -

هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار. من قبيلة غفار وكنيته: أبو ذر الغفارى.

يعتبر أبو ذر، شخصية فريدة[١] من شخصيات شبه الجزيرة العربية. قل أن يوجد له شبيه فى جيله والأجيال التى تلته.

فهو من كبار الصحابة وفضلائهم، قال عنه ابن حجـــر: الزاهـــد المشـــهور الصادق اللهجة، أسلم قديماً ثم انصرف إلى أهله فى اليمن حتى هاجـــر رســـول الله ﷺ إلى المدينة، فهاجر أبو ذر إليه، وذلك بعد بدر وأحد والخندق.

وكان أبو ذر لا يعبد الأصنام فى الجاهلية، ويقول لا إله إلا الله، حتى إذا سمع بالنبى ﷺ، أسرع إليه وأعلن إسلامه، وعاش حياته كلها ملتزماً بقـــول رســـول الله ﷺ له: "**اسمع وأطع ولو لعبد حبشى**".

واختلف مرة مع الخليفة عثمان بن عفان، وارتفعت أصواتهما، ثم انصـــرف مبتسماً، فقال له الناس: مالك وأمير المؤمنين؟ قال: سامع مطيع، ولو أمرنى أن آتى صنعاء أو عدن ثم استطعت أن أفعل لفعلـــت، فأمـــره عثمان بترك المدينة إلى الربذة على طريق مكة.[٢]

وربما أكثر النبى ﷺ من تنبيه أبى ذر إلى السمع والطاعة للسلطان، لما لاحظ البناء النفسى له، وهو بناء قلق متمرد، فكان ﷺ يروض نفســـيته، ويحـــاول أن يخلصها من روح التمرد، وقد التزم أبو ذر بذلك حتى آخر حياته.

وكان رسول الله ﷺ محباً له، معجباً به، قال فيه يوماً: "**ما أقلـــت الغبـــراء، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبى ذر**". وفكر أبو ذر مرة فى الإمارة، فقال: يا رسول الله ألا تستعملنى؟ قال أبو ذر: فضـــرب رســـول الله ﷺ علـــى منكبى، ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يـــوم القيامـــة خـــزى وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها.[٣]

لم يكن رسول الله ﷺ يقصد بكلمة (ضعيف) أنه ضعيف البنية، لأن أبا ذر كان

---

(١) فريدة : قليلة ونادرة .
(٢) الطبقات ٤/٢٢٧.
(٣) فتوح مصر ٢٨٦.

طويلاً جسيماً، وإنما قصد بالضعف- فيما نحسب عدم درايته بفنون السياسة، ونظم الحكم والإدارة.

وقد شارك أبو ذر فى فتح مصر، واختط بها، وكانت داره بزقاق القناديل، قرب دار عمرو بن العاص، وسموها دار العمد وعاش فى الفسطاط حتى رأى مشهداً، فتذكر قولة رسول الله ﷺ، ثم تركها إلى الشام.

وعاش أبو ذر فى الشام حتى اختلف مع واليها معاوية بن أبى سفيان، فخرج إلى المدينة ومنها إلى الربذة[١]، وعاش فيها عيشة الكفاف حتى كان شهر ذى الحجة من عام ٣٢ للهجرة، وحضره الموت، وليس معه إلا امرأته وغلام.

ووصف ابن سعد هذا المشهد، فقال: ورأى امرأته تبكى، فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكى أنه لا يد لى بتغييبك، وليس عندى ثوب يسعك كفناً. فقال: اغسلانى وكفنانى وضعانى على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه.

فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله ابن مسعود فى رهط من أهل العراق عماراً ، فلم يرعهم إلا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها، فقام إليه الغلام، فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فاستهل عبد الله يبكى، ويقول: صدق رسول الله ﷺ قال: **تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك.ثم نزل هو وأصحابه ووارووه.**[٢]

وزاد ابن حجر: ولما صلى عليه عبد الله بن مسعود، قدم المدينة، فمات بعده بقليل.[٣]

وقال الذهبى: ترك أبو ذر بنتاً له ضمها عثمان لعياله.[٤]

روى أبو ذر أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ بلغت عدتها فى البخارى ومسلم وحدهما ٢٨١ حديثاً.

* * *

---

(١) من ضواحى المدينة.
(٢) الطبقات ٤/٢٣٥.
(٣) الإصابة ٧/١٣٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/٩٣.

# عبادة بن الصامت - رضى الله عنه -

هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل بن غنم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصارى. كنى بأبى الوليد.

ولد قبل الهجرة بحوالى ٣٨ عاماً، كان من سادات قومه، ومن أطولهم[١]، شهد العقبتين، اختاره رسول الله ﷺ ضمن الاثنى عشر نقيبا ليكونوا رؤساء على قومهم، شهد مع رسول الله ﷺ جميع المشاهد.

وكان ممن جمع القرآن الكريم[٢] حفظا على عهد رسول الله ﷺ، قال عنه قتادة: كان عبادة بدرياً عقبياً أحد النقباء، وكان قد بايع رسول الله ﷺ على ألا يخاف فى الله لومة لائم.

وهو ذلك الفارس الذى خبر فنون القتال، وأجاد استعمال السلاح، ووقف المواقف الثابتة دفاعاً عن كل عقيدة أو فكرة آمن بها.

وهو ذلك المؤمن العالم الذى اعتنق عقيدة الإسلام وآمن بالرسالة السماوية التى بشر بها محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام-، فأخلص لها وحفظها وفهمها وتعمق فى معانيها حتى أصبح فقيها عالما متعبداً.

وهو أيضاً ذلك الإنسان الذى عرف القراءة والكتابة فى عصر ندر[٣] فيه المتعلمون. وأجاد إضافة إلى لغته الأم، معرفة لغة اليهود. فكان يمضى معظم وقته يقرأ فى المخطوطات التى كانت تجلب إليه من بلاد الشام أو غيرها.

وكان ناعم الحديث، لطيف المعشر ، جميل الصوت، يرتل القرآن الكريم بنغمة حنونة خاشعة تجعل المستمع إليه ينصت ويهدأ ويخشع لله عز وجل.

وقد قال عبادة عن نفسه : إنى من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ على ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

---

(١) جاء التراتيب الإدارية: أدرك الإسلام عشرة، طول كل رجل منهم عشرة أشبار (أكثر من متر ين): عبادة بن الصامت، وسعد بن معاذ، وقيس بن سعد بن معاذ، وجرير بن عبد الله البجلى، وعدى بن حاتم الطائى، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى، والأشعث بن قيس، ولبيد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وأبو زيد الطائى. (٢/٣٩١).

(٢) جمع القرآن خمسة من الأنصار هم: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء.

(٣) ندر : وجد بقلة قليلة.

وروى عبادة عن رسول الله ﷺ أحاديث منها، قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خلال ، قال: لا تشركوا بالله شيئًا، وإن قطعتم أو أحرقتم أو قتلتم، ولا تتركوا الصلاة المكتوبة متعمدين، فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة، ولاتركبوا المعصية، فإنها سخط الله،ولا تشربوا الخمر، فإن شربها رأس الخطايا، ولاتفروا من القتل والموت، وإن كنتم فيه، ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها فاخرج، ولا تضع عصاك على أهلك، وأنصفهم من نفسك.(١)

ومن الأحاديث التى رواها عبادة أيضاً قوله ﷺ: ما من نفس تموت لها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى.

وقال عبادة أيضاً: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وتصديق وجهاد فى سبيله، قال: أريد أهون من ذلك قال: السماحة والصبر. قال: أريد أهون من ذلك. قال: لا تتهم الله فى شىء قضى لك به.(٢)

وقد خرج عبادة أول ما خرج إلى الشامْ، وكان يزيد بن أبى سفيان بعث إلى عمر بن الخطاب لاحتياج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم فى الدين، فبعث معاذاً وعبادة وأبا الدرداء، وأقام عبادة فى فلسطين، التى تولى فيها القضاء بعد ذلك.

وخرج عام ٢١ للهجرة فى المدد الذى ذهب إلى مصر، وهو أحد أربعة اعتبر الخليفة عمر كلا منهم بمقام ألف رجل، وفى حصار بابليون ظهر دور عبادة الرائع فى الحوار الذى دار بينه وبين المقوقس.

وكان عبادة أحد اثنين أقاما محراب جامع الفسطاط، وبعد الفتح اختط له دارين مع بقية المسلمين بجوار الجامع، وعاش فى إحداهما مدة، ثم انتقل إلى فلسطين التى توفى فى إحدى مدنها (الرملة) عام ٣٤ للهجرة عن ٧٢ عاماً.

* * *

(١) فتوح مصر ٢٧٢.
(٢) فتوح مصر ٢٧٢.

# معـاذ بن جبـل - رضى الله عنه -

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى ابن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارى.

كنيته: أبو عبد الرحمن المدنى.

كان معاذ ﷺ صاحب ذكاء نادر ونباهة خارقة وسرعة فى فهمه للأمور. وساعده على ذلك إتقانه للقراءة والكتابة فى أيام عز فيها أصحاب القلم والصحائف[١]. فكون ثقافة شاملة أساسها ومرتكزها الدين الإسلامى الحنيف.

واشتهر بميله إلى الصمت والتأمل شأن العالمين المفكرين الذين يدرسون التصرفات، ويسمعون أقوال الناس ليفهموها ويدركوا غاياتها.

أحب معاذ بن جبل ﷺ الرسول ﷺ قبل أن يراه. وأعلن إسلامه قبل أن يجتمع بأشرف الخلق وسيد المرسلين وقد هداه الله بنور الإيمان.

وحين اجتمع الرسول الكريم وبصحبته عمه العباس بن عبد المطلب ﷺ بأعيان[٢] المدينة ووجهائها الذين أتوا ليبايعوه ويعرضوا عليه الانتقال إلى مدينتهم.

كان من بين أعضاء الوفد معاذ بن جبل الذى لم يتمالك نفسه فراح يذرف الدمع من شدة الفرح والتأثر وهو يصافح يد النبى المصطفى ويتبارك بها وعرفت تلك البيعة ببيعة العقبة الثانية.

وحين قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة كان معاذ بانتظاره مع باقى المسلمين من الأنصار. ولازمه ملازمة دائمة وآخى بينه وبين عبد الله بن مسعود.

فمعاذ فى كل مجلس فيه الرسول الكريم كان يستمع إلى أقواله بكل هدوء وصمت، وينصت إلى أحاديثه بكل يقظة وانتباه، ويحرص على سماع كل عبارة ليستوعبها ويفهمها.

وقرر أن يضع مواهبه كلها فى خدمة الإسلام. فالكتبة والقراء قلة قليلة وهو

---

(١) الصحائف : المخطوطات المجموعة .
(٢) أعيان : رؤساء وأشراف .

منهم. ولذلك عكف[١] على كتابة آيات الله البينات كلمـا سمع النبى المصطفى يتلو منها.

ولم يكتف بكتابة ما يسمع. بل قام مع أربعة صحابيين أجلاء بجمع القرآن الكريم فى حياة الرسول ﷺ وهم:

أبو أيوب الأنصارى، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء.

وبذلك قدموا خدمة عظيمة للإسلام.

ولما تبين للرسول ﷺ مدى فهم معاذ لأصول الدين، بعد أن استمع إلى بعض فتاواه قال:

"أرحم أمتى بأمتى أبو بكر .... وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل".

إذ إن معاذاً وصل إلى درجة عالية من العلم وفهم الدين الحنيف حتى لقد أصبح يصنف الأعمال فيضع كل عمل فى موضعه الصحيح، ويفصل بين الحلال والحرام، وأضحت أقواله عاملاً مساعداً للناس على معرفة الطريق السليم والصراط المستقيم، والعمل بالحلال والبعد عن الحرام.

وشهادة النبى المصطفى به تعد أكبر شرف وفخر يحصل عليهما صحابى جليل. وزاده شرفاً وفخراً أنه كان يؤيد كل قول يرويه عن لسانه، أو كل فتوى يقولها للناس.

وقد انصرف معاذ بكل نفسه وروحه وقلبه لاكتساب العلم نهاراً، وإلى قيام جزء من الليل متعبداً قانتاً.

وبسبب انصرافه إلى مجالس العلم وزهده فى الدنيا وكثرة كرمه وتصدقه على الفقراء، مرت عليه ظروف قاسية وقد روى جابر بن عبد الله فقال:

"كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهـم خلقاً، وأسمحهـم كفاً، فأدان ديناً كثيراً: فلزمه غرماؤه[٢] حتى تغيب عنهم أياماً فى بيته، فطلب غرماؤه من رسول الله ﷺ أن يحضره، فأرسل إليه فحضر ومعه غرماؤه فقالوا:

---

(١) عكف : لزم وواظب .

(٢) غرماؤه : أخصامه الدائنون .

- يا رسول الله خذ لنا حقنا.

فقال الرسول - عليه الصلاة والسلام-:

- رحم الله من تصدق عليه.

فتصدق البعض، فخلصه الرسول من ماله فاقتسموه بينهم فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم. فقال لهم الرسول ﷺ ليس لكم إلا ذلك.

ثم أرسله لليمن وقال له:

" لعل الله يجْبُرك ويؤدى عنك دينك".

وكانت ملوك اليمن قد أرسلت رسلها إلى النبى المصطفى تعلن إسلامها وتطلب إليه أن يرسل من يعلمهم أصول الدين وفقهه. فكلف بتلك المهمة بعض الدعاة وجعل معاذ بن جبل أميراً عليهم.

وبعد أن انتهى معاذ من مهمته عاد إلى المدينة، فى خلافة أبى بكر ﷺ والذى أبقاه فى اليمن ليكمل مهمته ولاحظ عمر بن الخطاب ﷺ أنه أثرى. فقدم علـى أبى بكر ﷺ يطلب إليه مشاطرة[١] معاذ ثروته وماله.

ولم ينتظر جواب الخليفة بل اتجه بسرعة نحو بيت معاذ وطالبه بشطر من ماله يدفع به إلى بيت مال المسلمين.

ورفض معاذ طلب عمر وناقشه رأيه لأنه طاهر الكف... نظيف اليد... لم يدخله أى مال حرام.... وهو أعلم الناس بالحلال والحرام.

وافترقا، وفي الصباح الباكر كان معاذ يسرع الخطى نحو بيت عمر حتى لكأنه يركض ركضا، وعندما رآه قال له:

- لقد رأيت الليلة فى منامى أنى أخوض[٢] حومة ماء[٣] وأخشى على نفسى الغرق، حتى جئت فخلصتنى يا عمر.

وذهبا معاً إلى أبى بكر وكرر عمر موقفه وطلبه بضرورة مشاطرة بيت المال ثروة معاذ ولكن أبا بكر حسم الموقف وقال:

---

(١) مشاطرة : مقاسمته بالنصف .
(٢) أخوض : أقطع سباحة .
(٣) حومة ماء : بركة ماء .

- لا آخذ منك شيئاً...

عندها فرح عمر وعانق معاذاً وقال له:

- "الآن... حل وطاب".

وعاد معاذ إلى مجالس العلم يشرح أمور الدين. ويفقه الناس فى العقيدة، مستعينا بما حفظه من آيات الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسوله ﷺ، فقد كانت تلك مهمته منذ أن كان برفقة رسول الله ﷺ.

وبلغ معاذ مكانة عالية بين المسلمين. فأحبه الجميع واحترمه كل من حادثه، وهابه كل من جالسه.

ومكث معاذ بن جبل فى فلسطين التى قد أرسله الخليفة عمر إليها يقوم بواجب المعلم المؤمن الحريص على شرح أصول الدين حتى، جاءه الأجل فى غوربيسان.

وتوفى سنة ثمانى عشرة للهجرة وله من العمر ثمانية وثلاثون سنة.

وحزن المسلمون عليه كثيراً لمغادرته السريعة وهو فى سنه المبكرة ﷺ.

* * *

obeikandl.com

# أنس بن مالك - رضى الله عنه -

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الخزرجى الأنصارى.

وكنيته: أبو حمزة. كناه بها رسول الله ﷺ لبقلة[1] كان يجتنيها وكان طعمها فيه لذع أى حموضة. وهذا هو معنى الحمزة.

وأنس منذ طفولته كان هادئ الجلسة، رقيق الحديث، ناعم المخاطبة، توحى تصرفاته بحسن تنشئته وتربيته لأن سلوكه كان ينم دائماً عن ذوق وتهذيب.

واشتهر أنس بين شباب المدينة المنورة ببراعته فى رمى السهام. فلم يكن يجاريه أحد فى ذلك. كما أجاد ركوب الخيل وألعاب الفروسية.

نشأ أنس بن مالك فى بيت عرف الإسلام قبل غيره، وأخلص أهله لدين الله عز وجل، وسبقوا الناس بإيمانهم بمحمد بن عبد الله ﷺ نبياً ورسولاً.

وكان أنس فى السنة العاشرة من عمره عندما اصطحبته أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم للمدينة وقالت له:

- يا رسول الله ....

هذا أنس غلامك يخدمك. فادع الله له.

فقبّله رسول الله ﷺ بين عينيه ودعا له قائلاً:

- "اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وأدخله الجنة".

ففاز بشرف خدمته ﷺ وملازمته فى أكثر أحواله. وسمع الكثير من حديث الرسول ﷺ.

وبقى أنس خادماً لرسول الله ﷺ لمدة عشر سنوات تعلم فيها وتفقه فى الدين.

وهو يخدم النبى المصطفى وسيد المرسلين، ولقد لقى من حسن خلقه ﷺ مالقى، ولقد أحبه الرسول ﷺ ودعا له بالبركة.

---

(١) بقلة : نوع من الخضار والبقول .

ولم يغب أنس بالرغم من صغر سنه عن كل الحروب والغزوات التى خاضها رسول الله ﷺ. واستطاع أن يتعلم من المسلمين المجاهدين فنون القتال واستعمال السلاح حتى إذا تجاوز الخامسة عشرة من عمره نزل إلى ساحة الجهاد يشارك المسلمين الأبرار فى قتال أهل الشرك والكفر.

وقد شهد مع رسول الله ﷺ ثمانى غزوات ولم يمنعه من بقية الغزوات إلا صغر سنه.

اكتسب أنس بن مالك، الكثير من رسول الله ﷺ. فقد ازداد علمه واتسع فقهه، وعمق فهمه لأمور الدين وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة حتى كان من أكثر المحدثين والرواة عن رسول الله ﷺ وكان ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ.

وكان شديد الفخر لأنه خدم النبى ﷺ. فقد روى أبو داود عن أنس أنه قال:

- "إنى لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول:

- يا رسول الله... خويدمك[1]".

وبقى أنس فى البصرة مرجعاً لكل المسلمين يسألونه فى أمور الدين ويطلبون منه المزيد من الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقد روى عن أنس كثير من الصحابة والتابعين لأنه كان من أكثر الناس رواية عن رسول الله ﷺ. حيث إنه صحبه فترة طويلة ولازمه منذ هاجر إلى أن مات ثم أخذ عن أبى بكر وعمر وعثمان وأخرج له البخارى ثمانين حديثا، وأخرج له مسلم سبعين حديثا، وخرجا له معاً ١٢٨ حديثا.

استقر أنس بن مالك فى البصرة. وقد كان له فيها أربعة منازل، وقد أفاض[2] الله عليه من رزقه الخير الكثير بفضل دعاء رسول الله ﷺ له، فكان له بستان يحمل الفاكهة فى العام مرتين، وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك، وعاش حتى ولد من صلبه ثمانون ذكراً وأنثيان ومات وله من ولده، وولد ولده مائة وعشرون ولدا، وكان له كل هذا ببركة دعاء الرسول ﷺ له:

---

(١) خويدم : تصغير خادم .

(٢) أفاض : ملأ .

– اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة .

وقد عاش ﷺ حتى جاوز المائة.

وكان فى آخر أيامه يمكث مع أولاده وأحفاده يلاعبهم ويداعبهم ويرمى معهم.

واشتد المرض على أنس بن مالك، وكان يحرص على الإمساك بعصاً حتى وهو فى حالة المرض. ولما سئل عن سر تلك العصا قال:

– هى من عند حبيبى رسول الله ﷺ. ادفنوها معى.

وتوفى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، ودفن أنس بن مالك بالطف قريبا من البصرة، وكان آخر من بقى من صحابة رسول الله ﷺ، ولقد استجاب الله لدعوة رسوله ﷺ بالبركة فى المال والولد، وقد قال ﷺ وأنا أنتظر الثالثة. أى المغفرة.

* * *

## عبـد الله بـن مسعـــود – رضى الله عنه –

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلى أبو عبد الرحمن حليف بنى زهرة.

وقد كان الناس يدعونه: "ابن أم عبد".

كان عبد الله بن مسعود من عامة الناس فى مكة. بل كان أجيراً عند سادات قريش يرعى غنمها ولا يجرؤ على مجالستهم فى ناديهم.

وجاء رسول الله ﷺ برسالته السماوية المباركة إلى جميع بنى البشر. وبدأ يبشر بها فى مكة المكرمة، وكان الدين الذى ينادى به خير المرسلين وسيد الخلق محمد بن عبد الله، ﷺ يدعو للمساواة بين البشر، ولإزالة الظلم عن الناس، ومنع الاضطهاد الذى يتعرض له الضعفاء.

وسمع عبد الله بن مسعود بدعوة محمد بن عبد الله وهو غلام يافع. ولكن لـم يهتم لذلك الأمر، وهو الأجير الفقير، الذى يعيـش من رعى غنـم عقبـة بـن أبى معيط ، فالصراع بدا له بين السادة والعظام، ولا مكان له فى ذلك الصراع، فهو بعيد عنه.

ولكنه بعد أن لمس بيديه صدق الدعوة وشاهد بعينيه كرامة الرسول ﷺ، استجاب للدعوة، وأشهر إسلامه، ووضع نفسه فى خدمة النبى الكريم الذى رحب به برضا وسرور.

ولقد اكتسب عبد الله بن مسعود من خلال ملازمته الرسول الأعظم علماً وفقهاً وتقى. وقال عن نفسه فى ذلك:

- "أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد".

ولم يكن عبد الله بن مسعود من أبرع من قرأ القرآن الكريم وحسب، بل كان أيضاً من أفقه الناس لمعانيه، وأعلمهم بآياته.

ولقد شارك عبد الله بن مسعود فى المواقع الحربية، وكان إلى جانب الرسول ﷺ مثل بقية الصحابة الكرام مستعداً لبذل الروح، والجهاد بالنفس فى سبيل الله العلى القدير.

ظل عبد الله بن مسعود يلازم النبى المصطفى طيلة حياته حتى صعدت روحه إلى الرفيق الأعلى.

ولقد عرف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قدر ابن مسعود، فعينه أميناً على بيت مال الكوفة.

وحياة عبد الله بن مسعود، فى دار النبى الكريم جعلت منه رجل علم وتقى وورع وازداد بفضل تلك الصلة المباركة علما وفقها فكان فقيه الأمة وعالم الدين وراوى الحديث الشريف وكان إجلاله لسيد الخلق وتوقيره له ﷺ، بلغا حداً جعلاه يرتجف من الرهبة والاحترام عند ذكر أى حديث شريف عنه، خشية تحويره.

وبدأت شمعة حياة عبد الله بن مسعود تذوب وتوشك أن تنطفئ. وانصرف إلى العبادة والتأمل وهو يردد: "خير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وشر العمى عمى القلب، وأعظم الخطايا الكذب، وشر المكاسب الربا، وشر المأكل اليتيم، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يغفر يغفر الله له".

هذا هو دستور عبد الله بن مسعود فى حياته.

فعبد الله بن مسعود لم يكن من المتمسكين بزيف الدنيا وزخرفها. فهى بنظره زائلة، بل كان ينشد رضا رب العالمين تبارك وتعالى.

ومات عبد الله بن مسعود عن بضع وستين سنة، ودفن فى البقيع، فى المدينة المنورة مقر شهداء أحد الأبرار. وصلى عليه ليلاً الصحابى الجليل الزبير بن العوام.

رحم الله عبد الله بن مسعود ورضى عنه فهو أول قارئ للقرآن، وهو من تمنى أن يباركه الرسول بدفنه كما باركه بتعليمه وملازمته.

* * *

## عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه -

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة القرشى الأسدى.

وعبد الله بن الزبير هو أول مولود للمهاجرين فى المدينة المنورة.. حيث هلل المسلمون فى كل أنحاء المدينة ورقصوا استبشارا بمولده، والسبب فى ذلك أنه بعد الهجرة أشيع أن اليهود سحروا للمسلمين فلن يولد لهم مولود فى المدينة المنورة.. وبالفعل طال الأمر والمسلمون يترقبون أن تلد أى من المسلمات حتى استبد بهم القلق إلى أن وضعت السيدة أسماء بنت أبى بكر مولودها الذى كان سببا فى فرحة وبهجة المسلمين.

وكنيته: أبو بكر.

وله كنية أخرى: أبو خبيب على اسم أكبر أولاده.

كان عبد الله عابدا قانتا يصلى النهار ويقوم الليل، وأيضاً شجاعا صاحب قلب كبير، لم يداخل الخوف نفسه، ولم يدن[1] الفزع من فؤاده.

وهو فصيح متعلم. أجاد لغة العرب، فكان خطيباً بارعاً. وأتقن لغات الأمم، فتكلم الفارسية والحبشية والرومية والعبرية وغيرها من لغات ذلك العصر.

وعبد الله بن الزبير صاحب رأى مستقيم وموقف حازم لايقبل اللف والدوران ولا الخداع والمداهنة.

---

(١) يدن : يقترب .

وتربى عبد الله فى بيت عريق نبيل، فتعلم فنـــون القتـــال، وأجـــاد اســـتعمال كلالأسلحة. وبرع براعة فائقة فى ركوب الخيل.

لقد جمع عبد الله بن الزبير كرم الأصل من كل الجهات، فأمه السيدة أسماء بنت أبى بكر – رضى الله عنها– ، والملقبة "بذات النطاقين".

وجدته لأبيه السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

والسيدة خديجة أم المؤمنين – رضى الله عنها–،عمة أبيه الزبير بن العوام.

ووالده الزبير بن العوام عديل رسول الله ﷺ وأحد المبشرين بالجنة.

والسيدة عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها– خالته، وقد روى عنها الكثير من الأحاديث عن رسول الله هو وأخوه عروة بن الزبير.

وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ جده لأمه.

فجمع عبد الله بن الزبير بذلك مجد القرابة وشرف الانتساب وكرامة صلة الرحم من كل الجهات.

منذ طفولته تمتع بجرأة نادرة ومواقف ثابتة لا يجاريه فيها أحد.

فقد نشأ عبد الله بن الزبير نشأة مسلمة خالصة. فقد دخل اليقين قلبه، وعمرت نفسه بالإيمان بثقة غير محدودة.

تأثر عبد الله بن الزبير بالأجواء البيتية التى تربى فيها، والصلات الاجتماعية التى احتك بها.

فاكتسب من كل ذلك إيماناً خالصاً جعل منه ذلك العابد الزاهد الذى صفت روحه وطهر قلبه ونقت نفسه.

كان زاهدا بلغ من زهده أنه لبس ثوبه أربعين سنة لم يخلعه.

وعاش عبد الله بن الزبير حياته كلها والاستقامة تغلب على كل عمل من أعماله وكل قرار من قراراته.

ومواقفه التاريخية العظيمة تشهد له باستقامته المطلقة وخاصة فى فتح إفريقية حين طالت المعركة وتكبد المسلمـــون فيهـــا خسائـــر جسيمة فى الأرواح،

وظل عبد الله بن الزبير يقاتل بجسارة إلى أن لمح منصته نصبت فى طرف السهل بجانب جيش البربر ينطلق منها الجنود بشجاعة وإقدام، فأدرك أنه لابد من مهاجمة هذا المكان، واختار من بين جنده ثلاثين رجلا يتصفون بالشجاعة، وسار على رأسهم باتجاه المنصة وتظاهر وكأنه يحمل رسالة لملكهم فتركوه يمضى فى طريقه وخلفه جنـــده، وما أن وصل للمنصة حتى اقترب منه فامتشق سيفه فذعر الملك وترك المنصة وهرب وتبعه الزبير حتى أدركه وقتله. وعاد نحو صفوف المسلمين وهو يكبر، والمسلمون يكبرون بعده وما أن شاهد البربر هذا حتى تشتتت صفوفهم وانهزموا وحقق المسلمون نصراً رائعاً، وغنموا غنائم كثيرة لا تعد ولا تحصى.

ومن مواقفه التاريخية العظيمة التى تنم عن تمسكه بمبادئه إنه تصدى للخليفة عبد الملك بن مروان ولم يقر له بالخلافة مما جعل الحجاج بن يوسف الثقفى يقوم بمحاصرة مكة ليقضى عليه ومن معه وحين اشتد الكرب فى مكة المكرمة مسقط رأس رسول الله ﷺ، وأخذ الناس يتخلون عن ابن الزبير، ويلتحقون بجيش الشام نجاة بأنفسهم وعيالهم، حينها شعر ابن الزبير أنه سيبقى وحيداً فى ساحة القتال. واستطاع الحجاج أن يضيق الحصار شيئاً فشيئاً حتى انحصر عبد الله ومن معه فى الحرم الشريف.

ومع إنه حوصر ومن معه بالحرم وبالرغم من كبر سنه فقد ظل يقاتل بكل شدة وضراوة وهو فى السبعين من عمره. وبينما هو فى ساحة القتال أتاه حجر من ناحية "الصفا" فأصابه بين عينيه فنكس رأسه وسقط على أرض الحرم الشريف مضرجا بدمائه، وأبى الحجاج بن يوســف الثقفــى إلا أن يصلبه فرفعه على خشبة مصلوباً.

رحم الله عبد الله بن الزبير.. البطل الجرىء.. والمؤمن الصابر فحين سئل عبد الله بن عباس عنه، ولم يكن على اتفاق معه، قال:

" كان قارئا لكتاب الله. متبعا لسنة رسول الله، قانتا لله، صائماً فى الهواجر من مخافة الله. ابن حوارى رسول الله. وأمه بنت الصديق. وخالته عائشة حبيبة الله وزوجة رسول الله ﷺ. فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله".

* * *

## عـروة بن الزبيـر - رضى الله عنه -

ولد عروة بن الزبير لسنة واحدة بقيت من خلافة الفاروق رضوان الله عليـه فى بيت من أعز بيوت المسلمين شأناً، وأرفعها مقاماً.

فأبوه هو الزبير بن العوام من صحابة رسول الله ﷺ ، وأول من سل سيفاً فى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

وأمه، هى أسماء بنت أبى بكر الملقبة بذات النطاقين[١].

وجده لأمه، هو أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، وصاحبه فى الغار.

وجدته لأبيه، هى صفية بنت عبد المطلب[٢] عمة رسول الله ﷺ.

وخالته، هى أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله.. فقد نزل إلى قبرها حين دفنت بنفسه، وسوى عليها لحدها بيديه.

وأخوه عبد الله بن الزبير أول مولود رزق به المسلمون فى الهجرة.

أليس بعد هذا الحسب حسباً..غير شرف الإيمان وعزة الإسلام؟

عكف عروة على طلب العلم وانقطع له، واغتنم البقية الباقية مـن صـحابة رسول الله ﷺ... فأخذ يؤم[٣] بيوتهم، ويصلى خلفهم، ويتتبع مجالسهم، حتى روى عن على بـن أبى طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت، وأبى أيوب الأنصارى.. وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد، وأبى هريرة، وعبد الله بن عباس، والنعمـان ابن بشير.

وأخذ كثيراً عن خالته عائشة أم المؤمنين، حتى غدا أحد فقهاء المدينة السبعة الذين يفزع[٤] إليهم المسلمون فى دينهم. ويستعين بهـم الولاة الصالحـون على ما استرعاهم الله جل وعز مـن أمر العباد والبلاد.

---

(١) ذات النطاقين: لقبت بذلك لأنها شقت نطاقها يوم الهجرة شقين لتربط بأحدهما مزود رسول الله ﷺ وبالثانى سقاءه... انظرها فى كتاب "صور من حياة الصحابيات" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.

(٢) صفية بنت عبد المطلب: انظرها فى كتاب "صور من حياة الصحابيات" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.

(٣) يؤم بيوتهم: يأتى بيوتهم.

(٤) يفزع إليه المسلمون: يلجأون إليه، ويلوذون به.

وقد جمع عروة بن الزبير العلم إلى العمل، فقد كان صواماً فى الهـواجر[١].. قواماً فى العتمات، رطب اللسان دائما بذكر الله تعالى.

وكان إلى ذلك خديناً[٢] لكتاب الله جل وعز، عاكفاً على تلاوته.. فكان يقـرأ ربع القرآن كل نهار نظراً فى المصحف.. ثم يقوم به الليل تلاوة عن ظهر قلب.

ولقد كان عروة بن الزبير يجد فى الصلاة راحة نفسه، وقرة عينـه، وجنتـه على الأرض، فيحسنها كل الإحسان، ويتقن شعائرها أتم الإتقـان، ويطيلهـا غاية الطول.

وقد كان عروة بن الزبير رضوان الله عليه سخى اليد سمحاً جواداً...

ومما أثر عن جوده أنه كان له بستان من أعظم بساتين المدينة... عذب المياه، ظليل الأشجار، باسق النخيل.. وكان يسور[٣] بستانه طوال العام، لحماية أشجاره من أذى الماشية وعبث الصبية، حتى إذا آن أوان الرطـب[٤] وأينعـت الثمـار وطابت، واشتهتها النفوس... كسر حائط بستانه فى أكثر من جهـة ليجيـز للناس دخوله.

فكانوا يلمون[٥] به ذاهبين آيبين، ويأكلون من ثمره ما لذ لهم الأكل، ويحملون منه ما طاب لهم الحمل.

وكان كلما دخل بستانه هذا ردد قوله جل وعز:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].

وفى ذات سنة من خلافة الوليد بن عبد الملك[٦] شـاء الله جل وعز أن يمتحن عروة بن الزبير امتحاناً لا يثبت لـه إلا ذوو الأفئـدة التـى عمرهـا الإيمـان وأترعها[٧] اليقين.

---

(١) الهاجرة: شدة القيظ، والجمع هواجر.
(٢) خديناً: مصاحباً.
(٣) يسور بستانه: يجعل لبستانه سوراً.
(٤) الرطب: ثمر النخيل قبل أن يصير تمراً.
(٥) يلمون به: يدخلونه.
(٦) الوليد بن عبد الملك: سادس خلفاء بنى أمية وقد بلغت دولة الإسلام فى عهده أوج عزها.
(٧) أترعها: ملأها.

فلقد دعا خليفة المسلمين عروة بن الزبير لزيارته فى "دمشق"، فلبى دعوتـه، وصحب معه أكبر بنيه... ولما قدم على الخليفة رحب بمقدمه أعظم الترحيـب، وأكرم وفادته أوفى الإكرام، وبالغ فى الحفاوة به.

ثم شاء الله سبحانه بأن تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن.

ذلك أن ابن عروة دخل على إصطبل[١] الوليد ليتفرج على جياده الصافنات[٢]، فرمحته[٣] دابة رمحة قاضية أودت بحياته.

ولم يكد الأب المفجوع ينفض يديه من تراب قبر ولده، حتى أصابت إحـدى قدميه "الآكلة"[٤].

فتورمت ساقه، وجعل الورم يشتد ويمتد بسرعة مذهلة.

فاستدعى الخليفة لضيفه الأطباء من كل جهـة.. وحضهـم على معالجتـه بأى وسيلة.

لكن الأطباء أجمعوا على أنه لا مفر من بتر ساق عروة قبل أن يسرى الورم إلى جسده كله، ويكون سبباً فى القضاء عليه..

فلم يجد بدا من الإذعان لذلك.

ولما حضر الجراح لبتر الساق، وأحضر معـه مباضـعه[٥] لشـق اللحـم، ومناشيره لنشر العظم، قال الطبيب لعروة:

أرى أن نسقيك جرعة من مسكر لكى لا تشعر بآلام البتر المبرحة.

فقال: هيهات[٦]... لا أستعين بحرام على ما أرجوه من العافية.

فقال له: إذن نسقيك المخدر، فقال: ما أحب أن أسلب عضواً مـن أعضـائى دون أن أشعر بألمه، وأحتسب[٧] ذلك عند الله.

---

(١) الإصطبل: مربط الخيل ونحوها من الدواب.

(٢) الجياد الصافنات: الجياد التى تقف على ثلاث وترفع الرابعة، وهى صفة الجياد الكريمة. (٣) رمحته: رفسته.

(٤) الآكلة: داء يصيب العضو فيأكل منه. (٥) المبضع: آلة يشق بها الطبيب الجلد.

(٦) هيهات: اسم فعل بمعنى بعد (أى لا أفعل). (٧) احتسب الشىء: نوى به وجه الله.

ولما هم الجراح بقطع الساق، تقدم نحو عروة طائفة من الرجال فقال:

ما هؤلاء؟!... فقيل له: لقد جيء بهم ليمسكوك، فلربما اشتد عليك الألم، فجذبت قدمك جذبة أضرت بك.

فقال: ردوهم... لا حاجة لى بهم، وإنى لأرجو أن أكفيكم[١] ذلك بالذكر والتسبيح...

ثم أقبل عليه الطبيب، فقطع اللحم بالمبضع ... ولما بلغ العظم، وضع عليه المنشار وطفق ينشره به، وعروة يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر.

وما فتئ الجراح ينشر، وعروة يهلل ويكبر حتى بترت الساق بتراً.

ثم أغلى[٢] الزيت فى مغارف الحديد، وغمست به ساق عروة لإيقاف تدفق الدماء، وحسم الجراح، فأغمى عليه إغماءة طويلة حالت دونه ودون أن يقرأ حصته من كتاب الله فى ذلك اليوم...

وكانت المرة الوحيدة التى فاته فيها ذلك الخير منذ صدر شبابه.

ولما صحا عروة، دعا بقدمه المبتورة، فناولوه إياها.. فجعل يقلبها بيده وهو يقول: أما والذى حملنى عليك فى عتمات الليل إلى المساجد، إنه ليعلم أننى ما مشيت بك إلى حرام قط...

وقد شق على الوليد بن عبد الملك ما نزل بضيفه الكبير من النوازل...

فقد احتسب ابنه، وفقد ساقه فى أيام معدودات، فجعل يحتال لتعزيته وتصبيره على ما أصابه.

ظل عروة بن الزبير للمسلمين منارة هدى، ودليل فلاح، وداعية خير طوال حياته...

ولقد اهتم أكثر ما اهتم بتربية أولاده خاصة، وسائر أبناء المسلمين عامة، فلم يترك فرصة لتوجيههم إلا اغتنمها، ولم يدع سانحة[٣] لنصحهم إلا أفاد منها.

---

(١) أكفيكم ذلك: أغنيكم عن ذلك.

(٢) أغلى الزيت: حمى الزيت على النار.

(٣) لم يدع سانحة: لم يترك فرصة.

من ذلك أنه دأب على حض[١] بنيه على طلب العلم، إذ كان يقول لهم:

يا بنى تعلموا العلم، وابذلوا له حقه.. فإنكم إن تكونوا صغار قوم، فعسى أن يجعلكم الله بالعلم كبراءهم.

ثم يقول: واسوأتاه[٢]، هل فى الدنيا شىء أقبح من شيخ جاهل؟!!

وكان يدعوهم إلى عد الصدقة هدية تهدى لله جل وعز، فيقول:

يا بنى، لا يهدين أحدكم إلى ربه ما يستحى أن يهديه إلى عزيز قومه...

فإن الله تعالى أعز الأعزاء، وأكرم الكرماء، وأحق من يختار له.

وكان يبصرهم بالناس، وينفذ بهم إلى جوهرهم فيقول:

يا بنى إذا رأيتم من رجل فعلة خير رائعة فأملوا به خيراً، ولو كان فى نظر الناس رجل سوء ، فإن لها عنده أخوات...

وإذا رأيتم من رجل فعلة شر فظيعة فاحذروه، وإن كان فى نظر الناس رجل خير، فإن لها عنده أخوات أيضاً.

واعلموا أن الحسنة تدل على أخواتها.. وأن السيئة تدل على أخواتها أيضا.

وكان يوصيهم بلين[٣] الجانب، وطيب الكلام، وبشر[٤] الوجه فيقول:

يا بنى، مكتوب فى الحكمة، "لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك طلقاً، تكن أحب إلى الناس ممن يبذل لهم العطاء".

وبعد... فقد عاش عروة بن الزبير واحداً وسبعين عاماً مترعة[٥] بالخير، حافلة بالبر، مكللة بالتقى.

* * *

---

(١) حض بنيه: حث أولاده.
(٢) واسوأتاه: أسلوب يستعمل لاستقباح الأمر.
(٣) لين الجانب: سهولة المعاشرة.
(٤) بشر الوجه: طلاقة الوجه، وبشاشته.
(٥) مترعة: مملوءة.

# جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنه -

هو جابر بن عبد الله بن عمرو الخزرجى الأنصارى... أشرق الإيمان فى قلبه وهو صغير غض[١] فأضاء كل جانب من جوانبه..

وتوثقت[٢] صلاته بالرسول صلوات الله وسلامه عليه منذ نعومة أظفاره[٣].

ولما وفد الرسول الأعظم ﷺ على المدينة مهاجراً، تتلمذ الصبى المؤمن على يدى نبى الهدى والرحمة، فكان من أنجب[٤] من أخرجتهم المدرسة المحمدية للناس حفظاً لكتاب الله... وفقهاً[٥] فى دين الله ... ورواية لحديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وحسبك أن تعلم أن "مسند جابر بن عبد الله" يضم بين دفتيه ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً..

حفظها التلميذ النجيب، ورواها للمسلمين عن نبيهم الأعظم ﷺ .

وأن البخارى ومسلماً أثبتا فى صحيحيهما ما يزيد على مائتين من أحاديثه تلك..

وأنه ظل مصدر إشعاع وهداية للمسلمين دهراً طويلاً، فلقد مد الله فى حياته حتى أوشك أن يبلغ من العمر قرناً من الزمان.

لم يشهد جابر بن عبد الله "بدراً" ولا "أحداً" مع رسول الله ﷺ... لأنه كان صغيراً من جهة.. ولأن أباه كان يأمره بالبقاء مع أخواته التسع من جهة أخرى، ذلك لأنه لم يكن لهن أحد سواه يقوم على أمرهن.

حدث جابر قال:

لما كانت الليلة التى سبقت "أحداً" دعانى أبى وقال:

إنى لا أرانى إلا مقتولاً مع أول من يقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، وإنى - والله- ما أدع أحداً أعز على منك بعد رسول الله ﷺ.

وإن على ديناً، فاقض دينى... وارحم أخواتك... واستوص بهن خيراً.

---

(١) غض: نضر طرى.
(٢) توثقت: تمكنت وتقوت.
(٣) منذ نعومة أظفاره: منذ طفولته.
(٤) أنجب: أكرم وأنفس وأفضل.
(٥) وفقها: الفقه، الفهم والوعى بما يلقى عليه.

فلما أصبحنا كان أبى أول قتيل قتل فى "أحد".

فلما دفنته أتيت النبى ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن أبى ترك ديناً عليه.. وليس عندى ما أفيه[١] به إلا ما يخرجه ثمر نخيله، ولو عمدت إلى وفاء دينه من ذلك الثمر لما أديته فى سنين.. ولا مال لأخواتى أنفق عليهن منه غير هذا.

فقام رسول الله ﷺ، ومضى معى إلى بيدر[٢] تمرنا وقال لى: (ادع غرماء[٣] أبيك) ، فدعوتهم.

فمازال يكيل لهم منه حتى أدى[٤] الله عن أبى دينه كله من تمر تلك السنة.

ثم إنى نظرت إلى البيدر فوجدته كما هو.. كأنه لم تنقص منه تمرة واحدة ..

ومنذ توفى والد جابر لم تفته غزوة واحدة مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد كانت له فى كل غزوة حادثة تروى وتحفظ.

فلنترك له الكلام ليروى لنا إحدى حوادثه مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

قال جابر:

كنا يوم "الخندق" نحفر، فعرضت لنا صخرة شديدة عجزنا عن تحطيمها، فجئنا إلى الرسول ﷺ وقلنا:

يا نبى الله لقد وقفت فى سبيلنا صخرة صلدة، ولم تفعل معاولنا[٥] فيها شيئا.

فقال ﷺ: ( دعوها فإنى نازل إليها).

ثم قام، وكان بطنه معصوباً بحجر من شدة الجوع، ذلك لأننا كنا أمضينا أياماً ثلاثة لم نذق خلالها طعاماً، فأخذ النبى ﷺ المعول، وضرب الصخرة فعدت كثيباً[٦] مهيلاً[٧].

---

(١) أفيه: أؤديه.
(٢) البيدر: الموضع الذى يكوم ويجمع فيه التمر.
(٣) غرماء: مفرده غريم: الدائن.
(٤) أدى: قضى ما عليه ووفاه.
(٥) معاولنا: مفرده معول وهى أداة لحفر الأرض.
(٦) كثيباً: تلاً من الرمل.
(٧) مهيلاً: ينهال فيتساقط ولا يتماسك.

عند ذلك ازداد أسای على ما أصاب الرسول الأعظم ﷺ من الجوع، فاتجهت إليه وقلت: أتأذن لى يا رسول الله بالمضى إلى بيتى؟.

فقال: (امض).

فلما بلغت البيت قلت لامرأتى: لقد رأيت برسول الله من مرارة الجوع ما لا يصبر عليه أحد من البشر، فهل عندك من شيء؟.

قالت: عندى قليل من الشعير، وشاة صغيرة، فقمت إلى الشاة فذبحتها وقطعتها، وجعلتها فى القدر، وأخذت الشعير فطحنته ودفعته إلى امرأتى، فعجنته فلما وجدت أن اللحم كاد ينضج.. وأن العجين قد لان، وأوشك[١] أن يختمر.

مضيت إلى رسول الله ﷺ، وقلت له:

طعيم[٢] صنعناه لك يا نبى الله، فقم أنت ورجل أو رجلان معك.

فقال: (كم هو)؟. فوصفته له..

فلما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام قال:

(يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم طعاماً فهلموا[٣] إليه) ... ثم التفت إلىَّ وقال: (امض إلى زوجتك وقل لها: لا تنزلى قدرك، ولا تخبزى عجينك حتى أجىء).

فمضيت إلى البيت ، وقد ركبنى من الهم والحياء مالا يعلمه إلا الله. وجعلت أقول: أيجيئنا أهل الخندق على صاع من شعير... وشاة صغيرة؟!

ثم دخلت على امرأتى وقلت: ويحك[٤]؛ لقد افتضحت[٥].. فرسول الله ﷺ سيأتينا بأهل الخندق أجمعين.. فقالت: هل سألك: كم طعامك؟ قلت: نعم.

فقالت: سر[٦] عن نفسك، فالله ورسوله أعلم، فكشفت عنى غماً[٧] شديداً بمقالتها تلك.

---

(١) أوشك: دنا وقارب. (٢) طعيم: القليل من الطعام.

(٣) هلموا: تعالوا، وتكون لازمة ومتعدية وهى من أسماء الأفعال.

(٤) ويحك: كلمة ترحم وتوجع. (٥) افتضحت: انكشفت واشتهر حالى.

(٦) سر: ألق الهم وأزحه. (٧) غماً: حزناً.

وما هو إلا قليل حتى أقبل رسول الله ﷺ... ومعه الأنصار والمهاجرون، فقال لهم: (ادخلوا ، ولا تزدحموا).

ثم قال لامرأتى: (هات خابزة فلتخبز معك... واغرفى من قدرك...ولا تنزليها عن الموقد).

ثم طفق يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويقربه إلى أصحابه.. وهم يأكلون.. حتى شبعوا جميعاً.

ثم أردف[١] جابر قائلا:

أقسم بالله إنهم انفضوا عن الطعام وإن قدرنا لتفور ممتلئة كما هى... وإن عجيننا ليخبز كما هو.. ثم إن رسول الله ﷺ قال لامرأتى: (كلى.. واهدى)... فأكلت، وجعلت تهدى سحابة[٢] ذلك اليوم كله.

هذا ولقد ظل جابر بن عبد الله الأنصارى مصدر إشعاع وهداية للمسلمين دهراً طويلاً، حيث مد الله فى أجله حتى أوشك أن يبلغ من العمر قرناً من الزمان.

هنيئاً لجابر بن عبد الله الأنصارى: فقد بايع الرسول الأعظم ﷺ وهو طفيل لم يبلغ الحلم.. وتتلمذ على يديه منذ نعومة أظفاره.. وروى حديثه فتناقلته عنه الرواة.. وجاهد مع رسول الله ﷺ وهو شاب موفور الشباب.. وغبر قدميه فى سبيل الله وهو شيخ طاعن فى السن.

* * *

(١) أردف: تابع وأكمل

(٢) سحابة ذلك اليوم: طوال ذلك اليوم.

# سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه -

سعد بن أبى وقاص ﷺ هو سعد بن مالك الزهرى، جده أهيب بن مناف الزهرى القرشى، عم السيدة آمنة أم الرسول ﷺ ، كان من السابقين إلى الإسلام ، ولقد كان ثالث ثلاثة دخلوا فى الإسلام، وقد روى عنه البخارى قوله: "لقد رأيتنى وأنا ثلث الإسلام" وقيل أسلم بعد ستة رجال وقيل أربعة.

وكان ذلك على يد أبى بكر الصديق ﷺ ، وكان عمره حينئذ سبعة عشر عاما.

وكان بارا بأمه فلما أسلم قالت له : يا سعد ما هذا الدين الذى أحدثت لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى. فقال لا تفعلى يا أمه فإنى لا أدع دينى، قال فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت فقلت والله لو كانت لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشيء، فلما رأت ذلك أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان:١٥٠].

وكان ﷺ فارس الإسلام فكان أول من أراق دما فى سبيل الله وأول من رمى بسهم فى سبيل الله.

وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يوم أحد من الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ ، وأخذ يدافع بنفسه ويصد عنه وأخذ يرمى بقوسه فى كل جهة ، وقد أعجب به رسول الله ﷺ أيما إعجاب، وكان ﷺ يناوله السهام قائلا: ارم يا سعد فداك أبى وأمى. ودعا له فقال له "اللهم سدد رميته وأجب دعوته".

وكان ﷺ يفرح به ويقول هذا خالى فليرنى امرؤ خاله "ذلك أن أم الرسول ﷺ من بنى زهرة، وكذلك كان سعد ﷺ .

وقد كان أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

وقد توجه خالد ﷺ على رأس جيش المسلمين إلى أطراف العراق فى عهد سيدنا أبى بكر ﷺ وانتصر على الفرس وفتح الحيرة والأنبار ثم مات أبو بكر ﷺ ، وقد أعد الفرس جيشا كبير ليثأروا لهزيمتهم ، فاضطر المسلمون

على التقهقر، فأراد عمر ﷺ أن يقود الجيش بنفسه فمنعه المسلمون من ذلك، فاختار سعدا، وقال هو الأسد فى عرينه، وتوجه إلى الفرس فانتصر عليهم انتصارا حاسما فى القادسية وفتح المدائن عاصمتهم. وبنى الكوفة وولى عليها.

ولكن بعض أهلها شكوه فى كل شيء إلى سيدنا عمر ﷺ حتى ذكروا أنه لايحسن الصلاة فاستدعاه عمر ﷺ وسأله عما نسبه إليه أهل الكوفة فقال ﷺ: أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرم عنها أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين وأخف فى الأخريين. قال ذلك الظن بك يا أبا إسحق ، ثم أرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه فما قالوا إلا خيرا حتى دخل مسجد النبى عيسى فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية.

فقال سعد أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمته فأطل عمره وأصل فقره وعرضه بالفتن، قال جابر بن سمرة ﷺ: وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن [1].

وكانت هذه التهم محض كذب واختلاق فهو ﷺ كان القائد المغوار والفارس المقدام لا يتخلف عن سرية أبداً ،وكان ﷺ عادلا ولكن هؤلاء النفر أرادوا الفتنة وقد دفعهم إلى ذلك الحقد والحسد الدفين فى قلوبهم، ويكفى شهادة رسول الله ﷺ له بدخول الجنة ويكفى رضاه عنه وهو صحابى جليل، والصحابة هم خير أمة وأعدلها وأتقاها وأفقهها فى الدين. ومع ثقة سيدنا عمر ﷺ ببراءته فقد عزله وأداً للفتنة وقضاء على عناصر الشر والفساد.

ولما طعن عمر ﷺ جعله أحد الستة الذين وكل إليهم أمر اختيار خليفة للمسلمين لأن رسول الله ﷺ قد مات وهو راض عنهم، وقال ﷺ: "إن ولى سعد الخلافة فذلك، وإلا فإننى أوصى الخليفة من بعدى أن يستعمله فإنى لم أعزله عن

(١) البخارى ج ١ ص٩٦.

عجز ولا خيانة، وبهذا رد له اعتباره فادعاه عثمان ﷺ والياً على الكوفة والعراق تنفيذا لوصية عمر ﷺ.

ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال كفنونى فيها فإنى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على وإنما كنت أخبؤها لهذا.. وكان آخر المهاجرين موتا توفى بالعقيق على سبعة أميال من المدينة فحمل إليها على أعناق الرجال وصلى عليه فى مسجد النبى ﷺ .

وكان ممن صلى عليه أزواج النبى ﷺ وكانت وفاته سنة خمس وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرين بالجنة.

وقد ترك من الأولاد أربعا وثلاثين نصفهم من الذكور ونصفهم من الإناث.

وقد روى عنه مائتان وسبعون حديثا، روى عن ابن عمر وابن عباس وخولة بنت حكيم، وروى عنه السائب بن يزيد وعلقمة بن قيس ومجاهد وغيرهم.

* * *

## عبد الله بن عباس - رضى الله عنه -

هو عبد الله بن عباس عالم أمة محمد، وأعلمها بكتاب الله، وأفقهها بتأويله، وأقدرها على النفوذ إلى أغواره، وإدراك مراميه وأسراره.

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولما توفى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كان له ثلاث عشرة سنة فقط... ومع ذلك فقد حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائة وستين حديثاً أثبتها البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وما إن حلت عن الغلام "الهاشمى" تمائمه، ودخل سن التمييز حتى لازم رسول الله ﷺ ملازمة العين لأختها.. فكان يعد له ماء وضوئه إذا هم أن يتوضأ.. ويصلى خلفه إذا وقف للصلاة.. ويكون رديفه[1] إذا عزم على السفر.. حتى غدا له كظله يسير معه أنى سار، ويدور فى فلكه كيفما دار.

وهو فى كل ذلك يحمل بين جنبيه قلباً واعياً، وذهناً صافياً، وحافظة دونها كل آلات التسجيل التى عرفها العصر الحديث.

---

(١) رديف الرجل: من يركب خلفه.

هذا الصحابى الجليل ملك المجد من جميع جوانبه، فما فاته منه شىء: فقد اجتمع له مجد الصحبة، ولو تأخر ميلاده قليلاً لما شرف بصحبة رسول الله ﷺ .

ومجد القرابة، فهو ابن عم نبى الله صلوات الله وسلامه عليه.

ومجد العلم، فهو حبر[١] أمة محمد وبحر علمها الزاخر.

ومجد التقى، فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل، مستغفراً بالأسحار، بكاء من خشية الله حتى خدد[٢] الدمع خديه.

حدث عن نفسه فقال: هم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالوضوء ذات مرة، فما أسرع أن أعددت له الماء، فسر بما صنعت.. ولما هم بالصلاة أشار إلى: أن أقف بإزائه، فوقفت خلفه.. فلما انتهت الصلاة مال على وقال: (ما منعك أن تكون بإزائى يا عبد الله؟!).

فقلت: أنت أجل فى عينى وأعز من أن أوازيك يا رسول الله.

فرفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم آته الحكمة)[٣].

وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ فآتى الغلام الهاشمى من الحكمة ما فاق به أساطين[٤] الحكماء.

فقد سلك الفتى عبد الله بن عباس إلى العلم كل سبيل، وبذل من أجل تحصيله كل جهد.

ظل ينهل من معين رسول الله ﷺ ما امتدت به الحياة، فلما لحق الرسول الكريم ﷺ بجوار ربه اتجه إلى البقية الباقية من علماء الصحابة وطفق يأخذ منهم ويتلقى عنهم.

ولما اكتمل لابن عباس ما طمح إليه من العلم تحول إلى معلم يعلم الناس فأصبح بيته جامعة للمسلمين...

نعم أصبح جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة فى عصرنا الحديث...

---

(١) الحبر: العالم المتبحر فى العلم. (٢) خدد الدمع خديه: حفر الدمع خديه.
(٣) ورد أصل هذا الخبر فى البخارى، ومسلم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٤) أساطين الحكماء: أكابر الحكماء والمتفردون منهم.

وكل ما بين جامعة ابن عباس وجامعاتنا من فرق، هو أن جامعات اليوم يحشد فيها عشرات الأساتذة، وأحياناً المئات.. أما جامعة ابن عباس فقد قامت على أكتاف أستاذ واحد، هو ابن عباس نفسه.

روى أحد أصحابه قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش افتخرت به لكان لها مفخرة..

فلقد رأيت الناس اجتمعوا فى الطرق المؤدية إلى بيته حتى ضاقت بهم، وسدوها فى وجوه الناس، فدخلت عليه وأخبرته باحتشاد الناس على بابه، فقال: ضع لى وضوءاً[1]... فتوضأ وجلس، وقال:

أخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل.. فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال لهم:

أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لى: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل... فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال لهم:

أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لى: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل... فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال لهم:

أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لى: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل... فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال لهم:

أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

---

(١) الوضوء بفتح الواو: الماء الذى يتوضأ به.

ثم قال لى: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر وغريب كلام العرب فليدخل.. فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله.

قال راوى الخبر: فلو أن قريشاً فخرت بذلك لكان ذلك لها فخراً.

وكأن ابن عباس ﷺ رأى أن يوزع العلوم على الأيام حتى لا يحدث على بابه مثل ذلك الزحام..

فصار يجلس فى الأسبوع يوماً لا يذكر فيه إلا التفسير.. ويوماً لا يذكر فيه إلا الفقه.. ويوماً لا تذكر فيه إلا المغازى[١].. ويوماً لا يذكر فيه إلا الشعر.. ويوماً لا تذكر فيه إلا أيام العرب.. وما جلس إليه عالم قط إلا خضع له.. وما سأله سائل قط إلا وجد عنده علماً.

وقد غدا ابن عباس، بفضل علمه وفقهه، مستشاراً للخلافة الراشدة على الرغم من حداثة سنه.

فكان إذا عرض لعمر بن الخطاب أمر أو واجهته معضلة[٢] دعا جلة[٣] الصحابة ودعا معهم عبد الله بن عباس، فإذا حضر رفع منزلته وأدنى مجلسه وقال له: لقد أعضل علينا أمر أنت له ولأمثاله.

وقد عوتب مرة فى تقديمه له وجعله مع الشيوخ، وهو مازال فتى، فقال:

إنه فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

على أن ابن عباس حين انصرف إلى الخاصة ليعلمهم ويفقههم، لم ينس حق العامة عليه، فكان يعقد لهم مجالس الوعظ والتذكير.

ولم يكن ابن عباس من الذين يقولون مالا يفعلون، وينهون الناس ولاينتهون، وإنما كان صوام نهاراً، قوام ليلا.

عاش ابن عباس إحدى وسبعين سنة ملأ فيها الدنيا علماً وفهماً وحكمة وتقى.

---

(١) المغازى: غزوات رسول الله ﷺ.

(٢) المعضلة: المشكلة الصعبة.

(٣) جلة الصحابة: شيوخ الصحابة ومتقدموهم.

فلما أتاه اليقين[١] صلى عليه محمد بن الحنفية[٢].. والبقية الباقية من صحابة رسول الله ﷺ وجلة التابعين... وفيما كانوا يوارونه ترابه، سمعوا قارئا يقرأ:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾

[ الفجر:٢٧-٣٠].

* * *

## عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما -

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى.

أسلم عبد الله مع أبيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما-، وهو غلام لم يبلغ الحلم[٣].

وعلى الرغم من صغر سنه فقد وجد فى الدين الجديد نوراً يهدى .. وفى الرسول ﷺ مثالاً يقتدى[٤] به.

وقد هاجر إلى يثرب - المدينة المنورة- قبل والده ، وذلك عندما صدر أمر النبى الكريم بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة.

جمع عبد الله بن عمر فى شخصه جمال الخلق[٥] والخلق[٦].

فقد كان كريم النفس، عفيف اللسان،طاهر القلب،باسط اليد بالصدقة والإحسان.

وهو إلى جانب ذلك كان مجاهداً مخلصاً لدين الله الحنيف يتمتع بقوة ورجولة جعلتا منه بطلاً مقداماً[٧] فى كل الحروب التى خاضها مجاهداً فى سبيل الله سبحانه وتعالى.

ولم يعرف التاريخ الإسلامى تابعاً مؤمناً كعبد الله بن عمر.

فهذا الفتى الأغر[٨] أحب الرسول حباً ملك عليه قلبه وعقله، فتأثر به حتى حفظ كل تصرفاته.

---

(١) اليقين: الموت.
(٢) محمد ابن الحنفية: هو محمد بن على بن أبى طالب، وقد نسب لأمه لتمييزه من الحسن والحسين، لأن أمهما فاطمة بنت النبى ﷺ وأم محمد امرأة من بنى حنيفة..
(٣) الحلم : سن الرجولة .
(٤) يقتدى به : يُقلَّد .
(٥) الخُلُق : الأخلاق .
(٦) الخَلق : الهيئة والشكل .
(٧) مقدام : شجاع .
(٨) الأغر : الجميل .

وعندما أصبح رجلاً .. ومضى الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى. استمر يمارس العادات التى كان يقوم بها النبى ﷺ، وكأن ذاكرته خزان لكل الصور والمشاهد التى رآها من خلال مرافقة النبى المصطفى.. وعرف بين المسلمين بأنه من أكثر الناس اتباعاً لآثار الرسول ﷺ.

لقد كان ابن عمر تاجراً كبيراً أصاب من التجارة مالاً كثيراً. كما كان دخله من بيت المال كبيراً. ولكنه لم يحاول أن يجمع ثروة كبيرة تفتنه[١] عن دينه أو يَبْذخ[٢] فى الأرض فينسى آخرته.

وحب الصدقة والإحسان للفقراء يتملك فى نفسه حتى قيل إنه كان يتصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألف درهم.

وقصص الإحسان حول عبد الله أكثر من أن تعد وتحصى لأنه وقف حياته عليه.

وعلى الرغم من كثرة مال ابن عمر فإن الدنيا لم تفتنه بزيفها ولا جذبته بزخرفها. بل عاش حياته يبذل ماله فى سبيل الله دون أن يفكر بنعيم العيش ورفاهية الحياة.

وكان الرسول الكريم يرى فيه رجل خير وتقى فعلمه كثيراً.. وحدثه كثيراً.. ونصحه كثيراً.

وفى ذلك يقول عبد الله:

أخذ رسول الله ﷺ يوماً ببعض جسدى وقال :

– يا عبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب ، أو كأنك عابر سبيل.. وعن نفسك كن فى أهل القبور[٣].

ثم قال لى :

– "يا عبد الله بن عمر فإنه ليس ثم دينار ولا درهم إنما هى حسنات وسيئات.. جزاء بجزاء وقصاص بقصاص. ولا تتبرأ من ولدك فى الدنيا فيتبرأ الله منك فى الآخرة. فيفضحك على رءوس الأشهاد".

---

(١) تفتنه : تحوله .  (٢) يبذخ : يسرف .  (٣) أهل القبور : الموتى .

"ومن جر ثوبه خيلاء[١] لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

والتزم ابن عمر بنصيحة رسول الله ﷺ طيلة حياته فكان خير من حدث، وأحسن من أفتى.

وعاش عبد الله بن عمر حياته كلها زاهداً نعيمها لإيمانه أن النعيم الحقيقى هو فى لقاء الله سبحانه وتعالى، بأعمال طاهرة ونفس طيبة.

ولم يزهد ابن عمر بمال الدنيا فقط. بل زهد بمناصبها ومراكزها وسلطتها.

وقال "مالك":

- بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة، وأفتى فى الإسلام ستين سنة، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض.

واعتزل ابن عمر كل تقاتل بين الإخوة. ومكث فى المدينة يفتى فى شئون الناس معتمداً على سعة علمه وصدق حديثه وعمق إيمانه.

وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقى لدينه فى الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه.

روى ابن عمر الحديث عن رسول الله ﷺ فأكثر، وروى عن كبار الصحابة، وروى عنه كثير من التابعين وأكثرهم رواية عنه ابنه سالم ومولاه نافع.

ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان وكان العمر قد تقدم كثيراً بابن عمر، هاجم الحجاج بن يوسف الثقفى مكة ليقضى على نفوذ عبد الله بن الزبير الذى تصدى لعبد الملك ، ولم يقر له بالخلافة.

وفى موسم الحج أمر عبد الملك الحجاج بأن يحج مع عبد الله بن عمر وأن يقتدى به. فكان ابن عمر يتقدم الحجاج بالمواقف فى عرفة وغيرها.

وحقد عليه الحجاج من أجل ذلك.

وفى أحد الأيام بينما الحجاج يخطب وهو فى أوج قوته وعظمته قال:

- إن ابن الزبير حرف كتاب الله.

انتفض ابن عمر فى مجلسه ، وهو الذى عرف بأمانته واستقامته ومناصرته

---

(١) خيلاء : غرور شديد .

للحق. ووقف وسط المسلمين فى وجه الحجاج يصرخ موجها كلامه إليه:

- كَذَبْتَ.. كَذَبْتَ.. كَذَبْتَ..

فبهت[١] الحجاج وأخذته المفاجأة، واعتراه الارتباك أمام صرخات ابنِ عمر، وعجز عن الرد عليه وهو الذى كانت ترهبه الناس. فحفظها فى نفسه وتوعد عبد الله شراً.

وبالفعل نفذ الحجاج تهديده، وأوعز إلى أحد غلمانه بالقضاء على ابن عمر. وحضر الرجل حربة مسمومة وسار خلف عبدَ الله حتى تمكن منه فوخزه برأس الحربة فى قدمه فأدماه.

ومرض عبد الله بن عمر بسببِ ذلك وبدأ السم يسرى فى جسده.

واشتد المرض عليه ولم يستطع جسمه أن يصمد طويلاً أمام هذا المرض وقد جاوز السادسة والثمانين من العمر وتوفى سنة ٧٣ من الهجرة.

رحم اللهِ عبد الله بن عمر فقد كان رقيق القلب يبكى إذا قرأ القرآن أو سمعه، وكان أيضاً شديد الحياء والذكاء.

* * *

## عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنه -

هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشى السهمى عرف بكثرة روايته للحديث النبوى، لأنه كان يكتب. وكان رضى الله عنه يكتب كل شىء يسمعه من رسول الله ﷺ، فنهته الصحابة عن ذلك وقالوا له: إن النبى ﷺ يتكلم فى الرضا والغضب فلا تكتب كل ما تسمع، فسأل النبى ﷺ عن ذلك فقال له الرسول ﷺ:

"فوالذى نفسى بيده ما خرج منهما إلا حق، يعني شفتيه".

وروى ابن سعد عن مجاهد أنه قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد.

---

(١) بهت : ذهل .

ولنلق بعض الضوء على هذه الصحيفة الصادقة التي هي من أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي.

## الصادقـــــة

من أشهر الصحف التى دونت وكتبت في العهد النبـوى، صحيفـة عبـد الله ابن عمرو بن العاص وكان عمرو ﷺ يسميها "الصادقة" ولهذه الصحيفة أهميـة علمية بالغة، إذ إنها تعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحـديث بين يدي رسول الله ﷺ بإذنه، فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ويزيد من أهمية هذه الصحيفة ما ذكره ابن الأثير فى "أسد الغابة" مـن أنهـا تضم ألف حديث وأن صاحبها متقدم الإسلام، وقد توافرت له من أسباب التحمل وكثرة الرواية مالم يتوافر لغيره.

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث فى قلبـه، وكتابتـه في الصحـف، يقـول أبو هريرة ﷺ : " ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب " رواه البخاري.. ولكثرة ما حفـظ عبد الله بن عمرو وما تحمل ، فقد كان الكثير من الصحابة – رضى الله عنهم– يحرصون على السماع منه والأخذ عنه، قالت عائشة – رضى الله عنها– لعروة ابن الزبير: يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله ابن عمرو مار بنا إلى الحـج فألقـه فاسأله فإنه قد حمل عن النبى ﷺ علما كثيرا.

وترجع كتابة عبد الله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله ﷺ له فى الكتابة، فقد كان يحسن الكتابة ولايلتبس عليه شىء، وفيما رواه ابن سعد عن عبـد الله ابن عمرو أنه قال: استأذنت النبى ﷺ فى كتابة ما سمعت منه فأذن لى فكتبتـه، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك الصادقة.

### سبب تسمية صحيفته بالصادقة:

وسبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة، أنه كتبها عن رسول الله ﷺ مباشـرة، قال مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال: "هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ولم يكـن بينى وبينه أحـد" رواه ابن سعد.

وقد كان عبد الله يروى ويملى الحديث، ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذى كان يسير عليه فى إملائه، ولكن المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا فى غاية التثبت لما يروون، سواء أكان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها.

وكان عبد الله بن عمرو يعتز بالصحيفة الصادقة، لأنه أخذها وكتبها عن رسول الله ﷺ ليس بينه وبين رسول الله ﷺ أحد، حتى إنه كان يقول: ما يرغبنى فى الحياة إلا خصلتان: الصادقة والوهط، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها.

وكان عبد الله بن عمرو يملى الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه السنة، كما كان محافظا على صحيفته، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية الضياع ، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة، وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث منها.

ومع كثرة ما تحمل عبد الله بن عمرو، ومع أنه كان يكتب الحديث، وأبو هريرة لا يكتب إلا أننا نرى أن ما رواه أبو هريرة أضعاف ما رواه ابن عمرو، مع أنه كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس.

**والسبب فى كثرة مرويات أبى هريرة عن عمرو:**

على الرغم من أن هذه حقيقة بالفعل لكننا إذا عرفنا أن ابن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من التعليم، وأنه أقام بعد الفتوح فى مصر، بينما كان أبو هريرة فى المدينة، يتصدر للتحديث هذا إلى جانب ما حظى به أبو هررة من دعوة رسول الله ﷺ له ألا ينسى، إذا عرفنا هذا،وقفنا على السبب فى كثرة مرويات أبى هريرة على ابن عمرو – رضى الله تعالى عنهما –.

وقد نزل كثير من صحابة رسول الله ﷺ مصر، بعد الفتح الإسلامى، وأشهر الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص الذى كان من أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله ﷺ، حيث كان يمتاز عن غيره بكتابة ما يسمعه من الرسول ﷺ كما سبق وقلنا.

* * *

# عقبة بن عامر الجهنى - رضى الله عنه -

هو عقبة بن عامر بن عبس، من جهينة، من قضاعة، يرجع أصله إلى اليمن.

روى عقبة واقعة مع رسول الله ﷺ تبين لنا أصله اليمنى، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: من كان هنا من معد فليقم، فقام رجال، وقمت معهم، فقال لى: اجلس، قال ففعل بى مرتين أو ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ألسنا من معد؟

قال: لا، قلت: ممن نحن؟ قال: أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير.(١)

وكان عقبة راعى غنم قرب المدينة، ولما هاجر رسول الله ﷺ، وسمع عقبة بمقدمه وما جاء به، أراد أن يدخل فى الإسلام، ودخل على رسول الله ﷺ مبايعاً، فسأله إن كان سيعيش فى المدينة أو يرحل إلى قومه قضاعة؟ وكان جوابه أنه سيقيم.

روى ابن سعد: قال عقبة: يا رسول الله جئت أبايعك. فقال: بيعة أعرابية تريد أو بيعة هجرة. قلت: بيعة هجرة. فبايعنى على الهجرة وأقمت.(٢)

ويقصد رسول الله ﷺ بالبيعة الأعرابية، أن يبايع ويرجع إلى البادية من حيث جاء، وقد كان ذلك مرفوضاً فى تلك المرحلة المبكرة التى أعقبت الهجرة، إذ كان يخشى على من يسلم أن يعود إلى البادية، فيبتعد عن الدين، ويرتد إلى الكفر.

وكان بقاء المسلمين فى المدينة نوعاً من الاستقرار، بجانب منبع الوحى، ومصدر الإيمان، ليتزودوا من علم الدين على يد رسول الله ﷺ، وليتكون منهم جيش الإسلام وأمة المؤمنين.(٣)

وقد كانت الهجرة فعلاً تعنى هجرة الوطن إيثاراً للإيمان، ومن هؤلاء المؤمنين الذين استقروا بالمدينة ، وتركوا التبدى كان جيش الدعوة الذى حقق الله به النصر فى كل المعارك.

ولما دخل عقبة الإسلام، كان من خدم رسول الله ﷺ، يأخذ بزمام بغلته، ويقودها فى الأسفار، وهو من أهل الصفة، أى: من المهاجرين الفقراء الذين لم

---

(١) كنز العمال ١٢/ ٤٩٥. (٢) الطبقات ٤/ ٣٤٤. (٣) النجوم الزاهرة ١/ ١٢٧.

يكن لهم مأوى، ولا بيت بالمدينة، وإنما كان منزلهم فى مسجد رسول الله ﷺ شمالى الحجرات.

وعقبة ممن جمع القرآن الكريم فى مصحف خاص به.

قال ابن يونس: رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفى آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده.(١)

ولم يكن عقبة كاتباً فقط. بل كان شاعراً، قارئاً(٢)، عالماً بالفرائض، فقيهاً، فصيح اللسان، راوية لأحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، قيل: خمسة وخمسين. وقال ابن تغرى بردى: وللمصريين عنه نحو مائة حديث.(٣)

وفى عهد أبى بكر خرج عقبة مع المحاربين فى الفتوحات إلى الشام، وفى عهد عمر كان هو البشير إلى المدينة بفتح دمشق.

ثم إنه كان أحد قادة جيوش المسلمين التى فتحت "مصر" فكافأه أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان(٤) بأن جعله والياً عليها ثلاث سنوات.

وعاش عقبة أميراً على مصر، ورأى معاوية أن يوجهه لعملية جهاد لا يصلح فيها غيره، فأمره أن يتوجه إلى جزيرة (رودس)، فى الوقت الذى أرسل الوالى الجديد مسلمة بن مخلد، وأوصاه أن يكتم ذلك عن عقبة حتى يخرج للغزو.

وتسلم مسلمة بن مخلد زمام السلطة بعد أن غادر عقبة الفسطاط فى طريقه لرودس.

قال ابن تغرى بردى: فكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول.(٥) بعد أن دامت ولاية عقبة سنتين وثلاثة أشهر.

لقد كان عقبة رجلاً فريداً بين أقرانه، نذر نفسه للجهاد، وعلم أن الله اختاره لصفات فطر عليها، وأنه ينبغى أن يلزم طريق الجهاد لايحيد عنه، فشارك

---

(١) قال الذهبى: الإمام المقرئ أبو عبس أحسن الناس صوتاً. (سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٠٦).
(٢) النجوم الزاهرة ١/ ١٢٧.
(٣) كانوا حوالى أربعمائة رجل من المهاجرين منهم أبو هريرة، وابن أم مكتوم، وصهيب وسلمان وخباب وبلال.
(٤) معاوية بن أبى سفيان: صخر بن حرب القرشى الأموى، أسلم عام الفتح وكان من كتبة الوحى، أسس الدولة الأموية بالشام، وكانت وفاته سنة ٦٠هـ.
(٥) النجوم الزاهرة ١/ ١٢٨.

بعد ذلك فى حصار القسطنطينية تحت إمرة يزيد بن معاوية، وهى أولى محاولات فتح القسطنطينية التى مات خلالها أبو الأنصارى، ودفنه يزيد تحت أسوارها.

ويبدو أن عقبة كان ملماً ببعض ما يؤخذ على مسلمة، ولكنه آثر أن يسلك مسلك الورع الذى يبدو فى قوله حين قدم إلى مسلمة بعد توليته مصر: أتذكر يوم قال ﷺ: من علم من أخيه سبة فسترها، ستره الله بها من النار يوم القيامة؟ قال مسلمة: نعم. قال عقبة: فلهذا آخيتك.

وعلى كل، فلابد أن نسجل هنا إعجابنا بالرجلين كليهما، فإن مسلمة لم يضق بعقبة، بل أبقاه معه أكثر من عشر سنوات دون أن يخشى أذى من خلفه، شأن الولاة الذين يقضون على أسلافهم تأميناً لاستمرارهم فى الولاية، لقد تعايش الرجلان بكل الحب، وتآخيا على مدد من تعاليم النبوة، ولذا عاش عقبة فى مصر آمناً، فى البلد الذى اختاره، يروى حديث رسول الله ﷺ، ويبلغ دعوته، ويأتيه الصحابى من المدينة كجابر بن عبد الله وأبى أيوب الأنصارى، وغيرهما، ليتناقشوا فى حديث سمعه من رسول الله ﷺ، ودام على ذلك إلى أن وافاه الأجل فى أواخر عهد معاوية[1] عام ٥٨ للهجرة، ودفن فى سفح المقطم، وكان قبل وفاته قد أوصى بما خلف: سبعين فرساً بجعابها[2] ونبالها فى سبيل الله.

ومما روى عن عقبة من أحاديث رسول الله ﷺ قوله : كنت آخذاً بزمام بغلة رسول الله ﷺ فقال: هل أعلمك سورتين؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فاقرأ (قل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق)، ثم أقيمت الصلاة، فتقدم، فصلى بهما، وقال: اقرأهما كلما نمت وقمت. وفى رواية: أمرنى ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة.

وروى الإمام أحمد عنه حديثاً قال : ذهب عقبة إلى المسجد الأقصى ليصلى، فرآه الناس فاتبعوه، فقال لهم:مالكم؟ قالوا: أتيناك لصحبتك لرسول الله ﷺ لتحدثنا بما سمعت منه. قال: انزلوا فصلوا، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يلقى الله عز وجل لايشرك به شيئا، ولم يتند[3] بدم حرام إلا دخل من أى أبواب الجنة شاء.[4]

---

(١) قالت د. سعاد ماهر: توفى فى اليوم الذى توفيت فيه السيدة عائشة فى ٨ شعبان عام ٥٨ للهجرة.٢)
(٢) الجعاب: جمع جعبة، وهى: وعاء السهام والنبال. (٣) لم يصب منه شيء. (٤) كنز العمال ١٥/ ٣٥.

وأما فى مجال الجهاد، فحسبنا أن نعلم أن عقبة بن عامر الجهنى شهد مع رسول الله ﷺ "أحداً" وما بعدها من المغازى، وأنه كان أحد الكماة الأشاوس المغاوير، الذين أبلوا يوم فتح "دمشق" أعز البلاء وأعظمه، فكافأه أبو عبيدة بن الجراح[١] على حسن بلائه بأن بعثه بشيراً إلى عمر بن الخطاب فى المدينة ليبشره بالفتح، فظل ثمانية أيام بلياليها من الجمعة إلى الجمعة يغذ السير دون انقطاع، حتى بشر الفاروق بالفتح العظيم.

وقد بلغ من ولع عقبة بن عامر الجهنى بالجهاد، أنه وعى أحاديث الجهاد فى صدره، واختص بروايتها للمسلمين، وأنه دأب على حذق الرماية حتى إنه إذا أراد أن يتلهى تلهى بالرمى.

قال ابن عبد الحكم: كان عقبة رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل مصر.[٢] ثم شارك فى فتحها، وعاش فيها، واختط بها، حتى تولى إمارتها عام ٤٤ للهجرة ثم عزل وتولى بعده مسلمة بن مخلد عام ٤٧ للهجرة.

ولما مرض عقبة بن عامر الجهنى مرض الموت – وهو فى "مصر"– جمع بنيه فأوصاهم فقال: يا بنى أنهاكم عن ثلاث فاحتفظوا بهن:

لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة، ولا تستدينوا ولو لبستم العباء[٣]، ولا تكتبوا شعراً فتشغلوا به قلوبكم عن القرآن.

ولما أدركته الوفاة عام ٥٨هـ، دفنوه فى سفح "المقطم" ثم انقلبوا إلى تركته يفتشونها، فإذا هو قد خلف بضعاً وسبعين قوساً، مع كل قوس قرن ونبال، وقد أوصى بهن أن يجعلن فى سبيل الله.

ولقد عاش فى مصر راوية لحديث رسول الله ومعلماً للناس وقد روى أحاديث بلغت ٥٥ حديثا.

رحم الله العالم الغازى عقبة بن عامر الجهنى، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) أبو عبيدة بن الجراح: انظره ص٩١.
(٢) فتوح مصر ٩٤.
(٣) العباء: كساء مفتوح من الأمام.

# أبو أيوب الأنصارى - رضى الله عنه -

هو خالد بن زيد بن كليب النجارى الخزرجى الأنصارى شهد العقبة وبدراً وأحداً وكل المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان بيته أول منزل لرسول الله ﷺ فى المدينة حتى بنى الحجرات والمسجد، وكان النبى ﷺ قد أقام فى بنى عمرو بن عوف خمس ليال قبل أن يخرج إلى المدينة، فكان كل قوم يدعونه لينزل عندهم، فيقول لهم: اتركوها – أى: الناقة– فهى مأمورة، حتى بركت على باب أبى أيوب، وهناك أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد.

ومما ذكره الرحالة بيرتون فى كتابه عن رحلاته إلى مصر والحجاز، ذكر فيها بعض تفاصيل عن تاريخ المدينة المنورة، منها حديثه عن تبع اليمني الذى دان باليهودية، وكان أول من كسا الكعبة، قال بيرتون: وبعد أن شيد داراً للنبى المرتقب، عاد لحاضرة بلاده فى اليمن، وأبطل الوثنية، وكتب وهو على فراش الموت ما يلى: أشهد بصدق أحمد الصادق، أشهد أنه رسول الله خالق الأرواح، وإذا امتد بى الأجل لأشهد أيامه لكنت له وزيراً وابن عم.

وبعد أن ختم الورقة بخاتمه قدمها لرئيس الأحبار اليهود لتكون وديعة عنده مع وصية مهيبة بأن يسلم الخطاب– إذا أتيحت الفرصة، للنبى العظيم، وإذا بعد يوم ظهوره ﷺ، فلابد أن تتوارث الأجيال هذه الرسالة، حتى يتم تسليمها له.

أما المنزل الذى شيده تبع فى المدينة ليكون مقراً للرسول الخاتم، فقد سلمه للجد الذى كان أبو أيوب الأنصارى أحد أفراد سلالته، وكان أبو أيوب هو أول شخص يمر الرسول ﷺ ببيته، بعد أن أنهى رحلة الهجرة.

وكان أبو أيوب يحتفظ بخطاب تبع، وهكذا وصل الخطاب الذى كتبه تبع إلى الرسول ﷺ بعد ثلاثة قرون أو أربعة.(١)

وقد التزم أبو أيوب بقوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً) طوال حياته، فكان مع النبى ﷺ، ثم انتقل إلى الشام ومصر، وشارك فى فتحهما.

ولما تولى على بن أبى طالب الخلافة،كان معه فى الجمل وصفين والنهروان،

---

(١) رحلة بيرتون ٦٩/٢.

ثم خرج فى جيوش معاوية بن أبى سفيان لفتوحات الروم براً وبحراً، حتى إنه جاء مصر مرة عام ٤٦ للهجرة عن طريق البحر.

وفى عام ٥٠ للهجرة خرج فى جيش بقيادة يزيد بن معاوية، وتوغلوا إلى الشمال من أرض الروم، ومرض أبو أيوب وعاده يزيد، وقال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتى إذا أنا مت، فاركب ثم سغ[١] فى أرض العدو ما وجدت مساغاً، فادفنى، ثم ارجع. فلما مات حمله يزيد حتى اقترب من أسوار القسطنطينية، ودفنه هناك بجوار السور، بعد أن صلى عليه.

ولقد أصبح مثوى أبى أيوب بعد الفتح الإسلامى للقسطنطينية معلماً كبيراً من معالم الإسلام، فهو بالنسبة لخلفاء بنى عثمان اللواء الذى يرفعونه فوق رءوسهم، ويلبسون تيجانهم فى ظله، ويبدأون خلافتهم فى ساحته، ويأخذون العهد بنصرة الإسلام بمشهد منه، لأنه رمز الجهاد الإسلامى، والتضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة، والبداية الصحيحة للفتح الإسلامى الذى حققتها الدولة العثمانية بعد وفاة أبى أيوب بتسعة قرون تقريباً، وحتى بعد قيام الجمهورية فى تركيا، مازال قبر أبى أيوب مزاراً ومشهداً ومفخرة لكل الترك، رغم سيطرة العلمانية، الأتاتركية.

وقد روى أبو أيوب أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ قال بعض الرواة: إنها بلغت مائة وخمسة وخمسين حديثاً، وكان رضى الله عنه لا يرويها إلا مطبقاً للناس ما أخذه من مدرسة رسول الله ﷺ، وسنذكر بعضاً من هذه التعاليم.

روى أثناء حرب الروم قرب القسطنطينية عن أبى عمران التجيبى، قال: صلى عقبة بن عامر صلاة المغرب، فأخرنا، ومعنا أبو أيوب الأنصارى، فقال له أبو أيوب: أتؤخر صلاة المغرب هذا التأخير، وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ، فيراك من لم يصحبه، فيظن أنه وقتها؟ فسأل عمران أبا أيوب: فمتى وقتها؟ فقال: كنا نصليها حين تجب الشمس، نبادر بها طلوع النجوم.[٢]

وروى أنه كان في حرب ضد الروم، وخرج صف عظيم من الروم ، وصف المسلمون صفا عظيما، فحمل رجل من المسلمين على الروم ، ثم خرج إلينا

---

(١) سغ: أدخل.

(٢) فتوح مصر ٢٦٩. وتجب الشمس: تختفى.

- يقول الراوى- وصاح الناس: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة فقام أبو أيوب، فقال: أيها الناس، إنكم لتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنه لما أعز الله دينه، وكثر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضنا لبعض سراً من دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها؟ فأنزل الله عز وجل فى كتابه يرد علينا ما هممنا به: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]، فكانت التهلكة أن نقيم فى الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو.(١)

روى أبو أيوب بعض مواقفه فى حياته ﷺ تبين مدى تجاوب الوحى مع المؤمنين، وتجاوبهم معه، يقول أبو أيوب: - فى بدر- أمرنا ﷺ أن نتعاد، ففعلنا، فإذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا رسول الله ﷺ بعدتنا، فسر بذلك، وحمد الله، وقال: عدة أصحاب طالوت.

ثم اجتمعنا مع القوم، فاصطففنا، فبدت منا بادرة، فقال ابن رواحة: يا رسول الله، إنى أريد أن أشير عليك ورسول الله أفضل مما يشار عليه، إن الله أجل من أن يشك فى وعده، فقال: يا ابن رواحة، لا تشكن فى وعد الله، إن الله لا يخلف الميعاد. وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب، فرمى بها وجوه القوم، فانهزموا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [ الأنفال:١٧]، فقتلنا وأسرنا، فقال عمر بن الخطاب: لا يكون أسرى، إنما نحن داعون. فقلنا معشر الأنصار: إنما حمل عمر حسد لنا. فنام ﷺ ثم استيقظ فقال: ادع لى عمر. فدعى، فقال: إن الله قد أنزل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال:٦٧].

لقد عاش أبو أيوب فارساً غازياً، تصحبه أخلاق الفرسان من أول يوم دخل فيه الإسلام، حتى توفاه الله، ودفن تحت أسوار القسطنطينية عام ٥٠ للهجرة.

* * *

(١) فتوح مصر ٢٧٠.

## أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصارى الخزرجى - رضى الله عنهما -

هو عويمر بن مالك الخزرجى، المكنى بأبى الدرداء، ويرجع نسبه إلى الخزرج وهى قبيلة يمانية الأصل ارتحلت إلى المدينة واستقرت فيها وكانت هى والأوس تكونان جمهرة الأنصار.

تأخر إسلامه قليلاً، فشهد مع رسول الله ﷺ ما بعد أحد.

كان فقيهاً، عاقلاً، حكيماً، شجاعاً، قال الرسول ﷺ عنه: عويمر حكيم أمتى، وقال: نعم الفارس عويمر.

وقال عنه ابن سعد: جمع القرآن فى زمان رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء.[١]

روى أحاديث عن رسول الله ﷺ أوصلها صاحب الأعلام إلى تسعة وتسعين حديثاً ومائة حديث.

قال أبو الدرداء يشجع الناس على قراءة شىء من القرآن كل يوم: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة؟ قالوا: نحن أعجز من ذلك وأضعف. قال: فإن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل (قل هو الله أحد) جزءاً من أجزاء القرآن.[٢]

وأبو الدرداء كان يحس إحساساً صادقاً أنه خلق لما نذر له حياته.. التخصص فى نشدان الحقيقة بممارسة أقصى حالات التبتل وفق الإيمان الذى هداه إليه ربه، ورسوله، والإسلام.

وإذا رأينا أن هذا تصوف، فهو تصوف رجل توفر له من فطنة المؤمن، وقدرة الفيلسوف، وتجربة المحارب، وفقه الصحابى، مما جعل تصوفه حركة حية فى بناء الروح، لا مجرد ظلال صالحة لهذا البناء..!!

أجل..

ذلكم هو أبو الدرداء، صاحب رسول الله ﷺ وتلميذه.. وذلكم هو أبو الدرداء، القديس، والحكيم.

---

(١) شارك ثلاثة منهم فى فتح مصر.

(٢) أسد الغابة ٩٧/٦.

وإذا اقتربنا من فلسفته تجاه الدنيا وتجاه مباهجها وزخرفها.. نجد إنه متأثر حتى أعماق روحه بآيات القرآن الرادعة عن: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة:٢،٣].

ومتأثر حتى أعماق روحه بقول الرسول: "ما قل وكفى،خير مما كثر وألهى"..

ويقول عليه الصلاة والسلام:

"تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه، فرق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه.. "ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع شمله، وجعل غناه فى قلبه، وكان الله إليه بكل خير أسرع".

وقد كان يدعو الناس إلى امتلاك الدنيا بالاستغناء عنها.. فذلك هو الامتلاك الحقيقى لها.. أما الجرى وراء أطماعها التى لا تؤذن بانتهاء، فذلك شر ألوان العبودية والرق.

هنالك يقول:

"من لم يكن غنياً عن الدنيا، فلا دنيا له"..

والمال عنده وسيلة للعيش القنوع المعتدل، ليس غير.

ويكتب لصاحب له فيقول:

".. أما بعد، فلست فى شىء من عرض الدنيا، إلا وقد كان لغيرك قبلك.. وهو صائر لغيرك بعدك.. وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك.. فآثرها على من تجمع له المال من ولدك ليكون له إرثاً، فأنت إنما تجمع لواحد من اثنين:

"إما ولد صالح يعمل فيه بطاعة الله؛ فيسعد بما شقيت به..

"وإما ولد عاص، يعمل فيه بمعصية الله، فتشقى بما جمعت له..

"فثق لهم بما عند الله من رزق، وانج بنفسك"..!

كانت الدنيا كلها فى عين أبى الدرداء مجرد عارية..

وقد عاش أبو الدرداء فى الشام بعد أن شارك فى فتح مصر، وقد ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القضاء على دمشق، فكان أول قاض لها ، وذلك عام

٢٣ للهجرة، ولكنه حين مضى لهناك هاله ما رأى فرآهم قد أولعوا بالترف وانغمسوا فى النعيم، فدعاهم للمسجد وراح يذكرهم بمنهج الرسول فى حياته، وزهده، وبمنهج الرعيل الأول من الشهداء والصديقين..

ولم يقتصر عمله فى دمشق على القضاء فحسب، بل شارك فى الأعمال الحربية، فقد خرج عام ٢٨ للهجرة فى حملة فتح قبرص، وخرج معه عدد كبير من الصحابة منهم أبو أيوب وأبو ذر وعبادة بن الصامت.

وعندما فتحت "قبرص"وحملت غنائم الحرب إلى المدينة رأى الناس أبا الدرداء يبكى.. واقتربوا دهشين يسألونه، وتولى توجيه السؤال إليه "جبير بن نفير":

قال له:

"يا أبا الدرداء، ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله"..؟؟

فأجاب أبو الدرداء فى حكمة بالغة وفهم عميق:

"ويحك يا جبير..

"ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره..

"بينما هى أمة قاهرة، ظاهرة، لها الملك، تركت أمر الله، فصارت إلى ما ترى"..!!

وكأن أهلها ضاقوا ذرعاً بهذا الذي ينغص عليهم لمواعظه متاعهم ودنياهم.. فجمعهم أبو الدرداء، وقام فيهم خطيباً:

"يا أهل دمشق..

"أنتم الإخوان فى الدين، والجيران فى الدار، والأنصار على الأعداء..

"ولكن ما لى أراكم لا تستحيون..؟؟

"تجتمعون ما لا تأكلون..

"وتبنون ما لا تسكنون..

"وترجون ما لا تبلغون..

"قد كانت القرون من قبلكم يجمعون، فيوعون..

"ويوملون، فيطيلون..

"ويبنون، فيوثقون..

"فأصبح جمعهم بوراً..

"وأملهم غروراً..

"وبيوتهم قبوراً..

"أولئك قوم عاد، ملوا ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً..".

ثم ارتسمت على شفتيه بسمة عريضة ساخرة، ولوح بذراعه في الجمع الذاهل، وصاح في سخرية لافحة:

"من يشترى منى تركة آل عاد بدرهمين"..؟!!

فجعل الناس يبكون حتى سمع نشيجهم من خارج المسجد. ومنذ ذلك اليوم طفق أبو الدرداء يؤم مجالس الناس في دمشق ويطوف بأسواقهم، فيجيب السائل، ويعلم الجاهل منتهزا كل فرصة يفيد فيها الآخرين.

فكم كان رجلا باهراً، رائعاً، مضيئاً، حكمته مؤمنة، ومشاعره ورعة، ومنطقه سديد ورشيد..!!

والعبادة عند "أبى الدرداء" ليست غروراً ولا تألياً. إنما هى التماس للخير وتعرض لرحمة الله، وضراعة دائمة تذكر الإنسان بضعفه. وبفضل ربه عليه.

وتستوصى حكمة "أبى الدرداء" بالإخاء خيراً، وتبنى علاقة الإنسان بالإنسان على أساس من واقع الطبيعة الإنسانية ذاتها، فيقول:

"معاتبة الأخ خير لك من فقده، ومن لك بأخيك كله..؟

"أعط أخاك ولن له..

"ولا تطع فيه حاسداً، فتكون مثله..

"غداً يأتيك الموت، فيكفيك فقده...

وكيف تبكيه بعد الموت، وفى الحياة ما كنت أديت حقه"..؟؟

ومراقبة الله فى عباده قاعدة صلبة يبنى عليها "أبو الدرداء" حقوق الإخاء.. يقول ﷺ وأرضاه:

"إنى أبغض أن أظلم أحداً.. ولكنى أبغض أكثر وأكثر، أن أظلم من لا يستعين على إلا بالله العلى الكبير"..!!

وقد عاش أبو الدرداء فى دمشق بعد ذلك حتى توفى عام ٣٢ للهجرة، ودفن بها فى خلافة عثمان بن عفان.

ولم ينس وهو يعانى سكرات الموت، وفى اللحظات الأخيرة أن يعظ ابنه بلالا، ويقول له: اعمل لمثل مصرع أبيك، واذكر مصرعك وساعتك.[١]

هذا هو – أبو الدرداء الحكيم..!!

هذا هو – أبو الدرداء الزاهد، العابد، الأواب..

هذا هو – أبو الدرداء الذى كان إذا أطرى الناس تقاه، وسألوه الدعاء، أجابهم فى تواضع وثيق قائلا:

"لا أحسن السباحة... وأخاف الغرق"...!!

* * *

## عامر بن عبد الله التميمى - رضى الله عنه -

هو عامر بن عبد الله التميمى العنبرى- من بنى تميم.. شارك فى بناء وتخطيط مدينة "البصرة" مع كبار الصحابة والتابعين بأمر من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ حيث أرادوا جميعا أن يجعلوها قاعدة[٢] للدعوة إلى الله عز وجل.. ومنارة لإعلاء كلمته فى الأرض.. وكان ذلك فى السنة الرابعة عشرة للهجرة .

وكان عامر بن عبد الله يومئذ فتى فى بواكير[٣] الصبا، غض الإهاب[٤] ريان الشباب، وضىء الوجه، زكى النفس، تقى القلب..

وكانت "البصرة" على حداثتها من أغنى بلاد المسلمين ، وأوفرها ثروة، لما كان يتدفق عليها من غنائم الحرب، وينصب فيها من الذهب النضار[٥]..

لكن الفتى التميمى عامر بن عبد الله لم يكن له حاجة فى ذلك كله.. فلقد كان زهادًا بما فى أيدى الناس، رغاباً بما عند الله.. معرضاً عن الدنيا وزينتها، مقبلاً على الله ومرضاته..

---

(١) فتوح مصر: ٢٨٦.
(٢) قاعدة للدعوة: منطلقاً للدعوة.
(٣) بواكير الصبا: أوائل الصبا.
(٤) غض الإهاب: طرى الجلد (كناية عن صباه).
(٥) الذهب النضار: الذهب الخالص.

وكان رجل "البصرة"ومقدمها يومئذ الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى ﷺ، ونضر فى الجنة وجهه.

فهو والى المدينة الزاهرة.. وهو قائد جيوش المسلمين المنطلقة منها فى كل اتجاه.. وهو إمام أهلها، ومعلمهم، ومرشدهم إلى الله عز وجل..

لزم عامر بن عبد الله أبا موسى الأشعرى فى سلمه وحربه.. وصحبه فى حله وترحاله..

فأخذ عنه كتاب الله رطباً طرياً كما نزل على فؤاد محمد.. وروى عنه حديث رسول الله ﷺ صحيحاً موصولاً بالنبى الكريم.. وتفقه على يديه فى دين الله عز وجل.. فلما اكتمل له ما أراد من العلم، جعل حياته أقساماً ثلاثة:

شطر[١] فى حلقات الذكر، يقرئ فيه الناس القرآن فى مسجد "البصرة".. وشطر فى خلوات العبادة، ينتصب فيه قائماً بين يدى الله حتى تكل قدماه.. وشطر فى ساحات الجهاد، يسل فيه سيفه غازياً فى سبيل الله.. ولم يترك فى حياته موضعاً لشىء غير ذلك أبداً.. حتى دعى بعابد "البصرة" وزاهدها..

غير أن عامر بن عبد الله لم يكن راهباً من رهبان الليل فحسب، وإنما كان فارساً من فرسان النهار أيضاً.. فما أذن مؤذن للجهاد فى سبيل الله إلا كان فى طليعة من يجيب نداءه.

وكان إذا نهد[٢] لغزوة من الغزوات مع المجاهدين، وقف يتوسم[٣] الناس ليختار رفاقه.

فإذا وقع على رفقة توافقه، قال لهم:

يا هؤلاء، إنى أريد أن أصحبكم على أن تعطونى من أنفسكم ثلاث خلال[٤].. فيقولون: ما هن؟.

فيقول: أولاهن أن أكون لكم خادماً، فلا ينازعنى أحد منكم فى الخدمة أبداً.

والثانية أن أكون لكم مؤذناً، فلا ينازعنى أحد منكم النداء للصلاة.

---

(١) الشطر: القسم.
(٢) نهد لغزوة: أشرع لغزوة.
(٣) يتوسم الناس: يتفرس الناس ويتعرفهم.
(٤) خلال: خصال.

والثالثة أن أنفق عليكم بقدر طاقتى.. فإن قالوا: نعم، انضم إليهم.. وإذا نازعه أحد منهم شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

ولقد كان عامر من أولئك المجاهدين الذين يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع... فهو يغشى[١] الوغى كما لا يغشاها أحد سواه... ولكنه يعف عند المغنم كما لا يعف عنه أحد غيره.

لكن حياة عامر بن عبد الله – على الرغم مما عرفت من أمره– لم تخل من المنغصات[٢]، ولم تسلم من أذى الناس.

وكان السبب المباشر فيما لحق به من أذى.. أنه أبصر رجلاً من أعوان صاحب شرط[٣] "البصرة" وقد أمسك بخناق[٤] رجل من أهل الذمة[٥]، وجعل يجره جراً.. والذمى يستغيث الناس ويقول:

أجيرونى أجاركم الله.. أجيروا ذمة نبيكم[٦] يا معشر المسلمين.. فأقبل عامر عليه وقال: هل أديت جزيتك؟

فقال: نعم، أديتها.

فالتفت إلى الرجل الممسك بخناقه وقال: ما تريد منه ؟!

فقال: أريد أن يذهب معى ليكسح[٧] حديقة صاحب الشرط..

فقال للذمى: أتطيب نفسك بهذا العمل؟

فقال: كلا..

فذلك يهد قواى، ويشغلنى عن كسب قوت عيالى.. فالتفت عامر إلى الرجل وقال: دعه[٨]..

فقال: لا أدعه..

فما كان من عامر إلا أن ألقى رداءه على الذمى وقال:

---

(١) يغشى الوغى: يخوض الحرب. (٢) المنغصات: المكدرات.
(٣) صاحب الشرط: مدير الشرط، والشرط جمع مفرده شرطة وشرطى. (٤) الخناق: العنق.
(٥) أهل الذمة: من دخل فى عهد المسلمين وحمايتهم من اليهود والنصارى وغيرهم.
(٦) أجيروا ذمة نبيكم: احموا من دخل فى ذمة نبيكم. (٧) يكسح الحديقة: ينظفها. (٨) دعه: اتركه.

والله، لا تخفر[١] ذمة محمد وأنا حى.. ثم تجمع الناس، وأعانوا عامراً على الرجل، وخلصوا الذمى بالقوة.

فما كان من أعوان صاحب الشرط إلا أن اتهموا عامراً بنبذ[٢] الطاعة.. ورموه بالخروج على السنة والجماعة.. وقالوا: إنه امرؤ لا يتزوج النساء.. ولا يأكل لحم الحيوانات وألبانها.. ويتعالى على غشيان[٣] مجالس الولاة.. ورفعوا أمره إلى أمير المؤمنين "عثمان بن عفان "[٤] ﷺ.

أمر الخليفة واليه على "البصرة" بأن يدعو عامر بن عبد الله إلى مجلسه، وأن يسأله عما نسب إليه.. وأن يرفع له خبره..

فاستدعى والى "البصرة" عامراً وقال:

إن أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه– أمرنى أن أسألك عن أمور نسبت إليك..

فقال: سل عما أمر به أمير المؤمنين.

فقال: ما لك تعزف[٥] عن سنة رسول الله ﷺ ، وتأبى أن تتزوج؟!.

فقال: ما تركت الزواج عزوفاً عن سنة النبى ﷺ ..فأنا أشهد أنه لا رهبانية[٦] فى الإسلام..

وإنما أنا امرؤ رأى أن له نفساً واحدة، فجعلها لله عز وجل، وخشى أن تغلبه الزوجة عليها.

فقال: ما لك لا تأكل اللحم ؟!.

فقال: بل آكله إذا اشتهيته ووجدته.. أما إذا لم أشتهه، أو اشتهيته ولم أجده فإنى لا آكله.

فقال: مالك لا تأكل الجبن ؟!.

فقال: إنا بمنطقة فيها "مجوس"[٧] يصنعون الجبن.. وهم قوم لا يفرقون بين الميتة والمذبوحة.

---

(١) لا تخفر ذمة محمد: لا ينقض عهد محمد ﷺ.
(٢) نبذ الطاعة: ترك الطاعة.
(٣) غشيان مجالس الولاة: شهود مجالس الولاة.
(٤) عثمان بن عفان: كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
(٥) تعزف: تزهد وتميل.
(٦) لا رهبانية: لا امتناع عن الزواج.
(٧) المجوس: طائفة تعبد الشمس أو النار.

obeikandl.com

وإنى لأخشى أن تكون المنفحة[١] التى صنع بها الجبن من شاة غير مذكاة[٢]، فما شهد شاهدان من المسلمين على أنه جبن صنع بمنفحة شاة مذبوحة أكلته..

فقال: وما يمنعك من أن تأتى الولاة، وتشهد مجالسهم؟!.

فقال: إن فى أبوابكم كثيراً من طلاب الحاجات، فادعوهم إليكم.. واقضوا حوائجهم لديكم.. واتركوا من لا حاجة له عندكم.

رفعت أقوال عامر بن عبد الله إلى أمير المؤمنين "عثمان بن عفان"، فلم يجد فيها نبذاً للطاعة.. أو خروجاً على السنة والجماعة.. غير أن ذلك لم يطفئ نار الشر.. وكثر القيل والقال حول عامر بن عبد الله.. وكادت تكون فتنة بين أنصار الرجل وخصومه..

فأمر عثمان رضى الله عنه بتسييره[٣] إلى بلاد الشام، واتخاذها دار إقامة له.. وأوصى واليه على الشام "معاوية بن أبى سفيان" أن يحسن استقباله، وأن يرعى حرمته.

وفى اليوم الذى عزم فيه عامر بن عبد الله على الرحيل عن "البصرة" خرج خلق كثير من إخوانه وتلاميذه، لوداعه.. وشيعوه[٤] حتى بلغوا معه ظاهر "المربد"[٥].. وهناك قال لهم: إنى داع فأمنوا على دعائى..فاشرأبت[٦] إليه أعناق الناس، وسكنت حركتهم، وتعلقت به عيونهم.

فرفع يديه وقال: اللهم من وشى بى وكذب على، وكان سبباً فى إخراجى من بلدى، والتفريق بينى وبين صحبى.. اللهم إنى صفحت عنه فاصفح عنه.. وهبه العافية فى دينه ودنياه.. وتغمدنى وإياه وسائر المسلمين برحمتك وعفوك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

ثم وجه مطيته[٧] نحو ديار الشام، ومضى لسبيله..

قضى عامر بن عبد الله بقية حياته فى بلاد الشام واختار "بيت المقدس" داراً

---

(١) المنفحة: مادة تستخرج من بطن الجدى الصغير وتوضع فى الحليب فيصير جبناً.
(٢) غير مذكاة: غير مذبوحة.
(٣) أمر بتسييره: أمر بترحيله.
(٤) شيعوه: خرجوا معه لوداعه.
(٥) المربد: محلة فى ظاهر البصرة.
(٦) اشرأبت إليه الأعناق: امتدت إليه الأعناق لتراه.
(٧) مطيته: راحلته.

لإقامته.. ونال من بر أمير الشام "معاوية بن أبى سفيان" وإجلاله وتكريمه ما هو جدير به.

فلما مرض مرض الموت دخل عليه أصحابه، فوجدوه يبكى.

فقالوا: ما يبكيك، وقد كنت.. وكنت[١]؟!..

فقال: والله ما أبكى حرصاً على الدنيا.. أو جزعاً[٢] من الموت.

وإنما أبكى لطول السفر وقلة الزاد.

ولقد أمسيت بين صعود وهبوط.. إما إلى الجنة.. وإما إلى النار.. فلا أدرى إلى أيهما أصير.. ثم لفظ أنفاسه، ولسانه رطب بذكر الله..

وهناك.. هناك.. فى أولى القبلتين[٣].. وثالث الحرمين[٤].. ومسرى رسول الله ﷺ.. ثوى[٥] عامر بن عبد الله التميمى..

نور الله لعامر فى قبره.. ونضر فى جنات الخلد وجهه، فقد قال عنه علقمة ابن مرثد: "انتهى الزهد إلى ثمانية فى مقدمتهم عامر بن عبد الله التميمى".

* * *

(١) وقد كنت وكنت: إشارة إلى ما كان عليه من التقى والصلاح.
(٢) جزعاً: خوفاً.
(٣) أولى القبلتين: كناية عن بيت المقدس، لأن المسلمين كانوا يستقبلونه فى الصلاة قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة المعظمة.
(٤) ثالث الحرمين: كناية عن بيت المقدس أيضاً.
(٥) ثوى: أقام فى المكان.

obeikandl.com

## عامر بن شرحبيل الشعبى - رضى الله عنه -

ولد عامر الشعبى فى "الكوفة" وفيها نشأ وهذا فى خلافة الفاروق رضوان الله عليه لكن المدينة المنورة كانت مهوى[١] فؤاده ومطمح نفسه، فكان يؤمها[٢] من حين لآخر ليلقى صحابة رسول الله ﷺ، وليأخذ عنهم، كما كان الصحابة الكرام يؤمون "الكوفة" ليتخذوها منطلقاً للجهاد فى سبيل الله، أو داراً لإقامتهم.

فأتيح له أن يلقى نحواً من خمسمائة من الصحابة الكرام، وأن يروى عن عدد كبير من جلتهم من أمثال: على بن أبى طالب، وسعد بن أبى وقاص، وزيد ابن ثابت.. وعبادة بن الصامت، وأبى موسى الأشعرى، وأبى سعيد الخدرى.. والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس.. وعدى بن حاتم، وأبى هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم وغيرهم.

وقد كان الشعبى فتى متوقد الذكاء، يقظ الفؤاد، مرهف الذهن[٣]، دقيق الفهم، آية فى قوة الحافظة والذاكرة..

فقد روى عنه أنه قال:

ما كتبت سوداء فى بيضاء[٤] قط، ولا حدثنى رجل بحديث إلا حفظته، ولا سمعت من امرئ كلاماً ثم أحببت أن يعيده علىَّ.

وقد كان الفتى مولعاً بالعلم، شغوفاً[٥] بالمعرفة، يبذل فى سبيلهما النفس والنفيس، ويستسهل من أجلهما المصاعب.

وقد بلغ من علمه أنه كان يقول:

أقل شىء تعلمته الشعر.. ولو شئت لأنشدتكم منه شهراً دون أن أعيد شيئا مما أنشدته.

وكانت تعقد له حلقة فى جامع "الكوفة" ، فيلتف الناس حوله زمراً زمراً، وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء يروحون ويغدون بين أظهر الناس.

---

(١) مهوى فؤاده: مشتهى نفسه.
(٢) يؤمها: يقصدها ويمضى إليها.
(٣) مرهف الذهن: دقيق الذهن.
(٤) ما كتبت سوداء فى بيضاء: ما سجلت كلاماً فى ورق.
(٥) شغوفاً بالمعرفة: محباً للمعرفة مولعاً بها.

بل إن عبد الله بن عمر ﷺ سمعه ذات مرة يقص على الناس أخبار المغازى[١] بخفاياها ودقائقها، فأرهف إليه سمعه وقال:

لقد شهدت بعض ما يقصه بعينى وسمعته بأذنى، ومع ذلك فهو أروى[٢] له منى.

وشواهد سعة علم الشعبى وحضور ذهنه، غزيرة وفيرة.

من ذلك ما رواه عن نفسه قال:

أتانى رجلان يتفاخران، أحدهما من بنى "عامر"، والآخر من بنى "أسد"، وقد غلب العامرى صاحبه وعلا عليه.. وأخذه من ثوبه وجعل يجره نحوى جراً، والأسدى مخذول أمامه يقول له:

دعنى دعنى.

والعامرى يقول له:

والله لا أدعك حتى يحكم الشعبى لى عليك.. فالتفت إلى العامرى وقلت له:

دع صاحبك حتى أحكم بينكما.

ثم نظرت إلى الأسدى وقلت: ما لى أراك تتخاذل له[٣]؟.

ولقد كانت لكم مفاخر ست لم تكن لأحد من العرب:

**أولها:** أنه كانت منكم امرأة خطبها سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ فزوجه الله إياها من فوق سبع سماوات.. وكان السفير بينهما "جبريل" عليه السلام.. إنها أم المؤمنين زينب بنت جحش.

فكانت هذه المأثرة[٤] لقومك، ولم تكن لأحد من العرب غيركم.

**وثانيها:** أنه كان منكم رجل من أهل الجنة يمشى على الأرض، هو "عكاشة بن محصن"[٥].

وكانت هذه لكم يا بنى "أسد" ولم تكن لسواكم من الناس.

---

(١) المغازى: الغزوات الإسلامية.
(٢) أروى منى: أحسن رواية منى.
(٣) تتخاذل له: تضعف أمامه وتفشل.
(٤) المأثرة: المكرمة المتوارثة، والفعل الحميد.
(٥) عكاشة بن محصن: صحابى شهد المشاهد كلها، واستشهد فى حرب الردة.

obeikandl.com

**وثالثها:** أن أول لواء عقد فى الإسلام كان لرجل منكم،هو عبد الله بن جحش[١].

**ورابعها:** أن أول مغنم قسم فى الإسلام كان مغنمه.

**وخامسها:** أن أول من بايع بيعة الرضوان[٢] كان منكم، فقد جاء صاحبكم أبو سنان بن وهب إلى رسول الله ﷺ وقال:

يا رسول الله ﷺ، ابسط يدك أبايعك.

قال ﷺ: (على ماذا ؟).

قال: على ما فى نفسك.

قال ﷺ: (وما فى نفسى ؟!).

قال: فتح، أو شهادة؟.

قال: (نعم)، فبايعه..

فجعل الناس يبايعون على بيعة أبى سنان.

**وسادسها:** أن قومك بنى "أسد" كانوا سبع المهاجرين يوم "بدر". فبهت العامرى وسكت.

ولاريب فى أن الشعبى أراد أن ينصر الضعيف المغلوب على القوى الغالب.

ولو كان العامرى هو المخذول، لذكر له من مآثر قومه ما لم يحط به خبراً.

ولما آلت[٣] الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، كتب إلى الحجاج عامله[٤] على "العراق":

أن ابعث إلى رجلاً يصلح للدين والدنيا، أتخذه سميراً وجليساً..

فبعث إليه بالشعبى، فجعله من خاصته[٥]، وأخذ يفزع إلى علمه فى المعضلات[٦]، ويعول على رأيه[٧] فى الملمات، ويبعثه سفيراً بينه وبين الملوك.

---

(١) عبد الله بن جحش: صحابي من أمراء السرايا، وهو صهر رسول الله ﷺ..
(٢) بيعة الرضوان: كانت فى آخر سنة ست للهجرة.
(٣) آلت الخلافة إلى فلان: صارت إليه. (٤) عامله: واليه. (٥) خاصة الخليفة: المقربون إليه.
(٦) يفزع إلى علمه فى المعضلات: يلجأ إلى علمه فى الأمور الصعبة. (٧) يعول على رأيه: يعتمد على فكره.

ولقد بلغ الشعبى فى العلم منزلة جعلته رابع ثلاثة فى عصره.

فقد كان الزهرى يقول: العلماء أربعة.. سعيد بن المسيب فى المدينة، وعامر الشعبى فى الكوفة، والحسن البصرى فى البصرة، ومكحول فى الشام.

لكن الشعبى كان – لتواضعه– يخجل إذا خلع[١] عليه أحد لقب "العالم".. فقد خاطبه أحدهم قائلا:

أجبنى أيها الفقيه العالم.

فقال: ويحك[٢].. لا تطرنا[٣] بما ليس فينا.. الفقيه من تورع عن محارم الله، والعالم من خشى الله، وأين نحن من ذلك ؟!.

ولقد سأله آخر عن مسألة، فأجاب:

قال فيها عمر بن الخطاب كذا... وقال فيها على بن أبى طالب كذا... فقال له السائل: وأنت ماذا تقول يا أبا عمرو؟.

فابتسم فى استحياء وقال:

وما تصنع بقولى بعد أن سمعت مقالة عمر وعلى.

ولقد أوتى الشعبى من بلاغة الكلام، وحسن التصرف فيه ما لم يؤته إلا القلة النادرة من الفصحاء الأبيناء[٤]..

من ذلك أنه كلم أمير "العراقيين" عمر بن هبيرة الفزازى فى جماعة حبسهم فقال: أيها الأمير..

إن كنت حبستهم بالباطل، فالحق يخرجهم.. وإن كنت حبستهم بالحق، فالعفو يسعهم.

فأعجب بقوله، وأطلقهم كرامة له.

وعلى الرغم من كمال مروءة الشعبى وعلو منزلته فى الدين والعلم، فقد كان عذب الروح حلو المفاكهة، لا يفوت النكتة إذا لاحت له.

---

(١) خلع عليه: ألقى عليه.
(٢) ويحك: كلمة ترحم وتوجع، والمعنى: أترحم عليك وأتوجع لك.
(٣) لا تطرنا: لا تبالغ فى مدحنا وإكبارنا.
(٤) الأبيناء: الذين يبينون ما يقولون بأوضح ما يكون.

فقد دخل عليه رجل وهو جالس مع امرأته، فقال:

أيكما الشعبى؟.

فقال: هذه، وأشار إلى امرأته.

وسأله آخر:

ماذا كانت تسمى زوجة إبليس؟.

فقال: ذلك عرس لم نشهده.

وبعد، فقد عمر الشعبى حتى زاد على الثمانين. فلما لبى نداء ربه، ونعى إلى الحسن البصرى قال:

"يرحمه الله فلقد كان واسع العلم.. عظيم الحلم.. وإنه من الإسلام بمكان".

قال مكحول: ما رأيت أعلم من الشعبى، وقال أبو حصين ما رأيت أحداً قط أفقه من الشعبى، وقال ابن سيرين لأبى بكر الهذلى:الزم الشعبى فلقد رأيته يستفتى والصحابة متوافرون، وروى عن الشعبى أنه قال إنا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فرويناه، الفقيه: من إذا علم عمل. وكان الشعبى يكره القياس. توفى سنة ١٠٤هـ .

* * *

## سعيد بن المسيب المخزومى - رضى الله عنه -

ولد سعيد بن المسيب لسنتين مضتا من خلافة عمر وسمع من كبار الصحابة، وكان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة قوالا بالحق فقيه النفس.

كان سعيد من أشد ما استأثر[١] باهتمامه فى المدينة المنورة حلقات العلم التى كانت تعمر المسجد النبوى الشريف.

ويتألق فيها العلماء الأفذاذ من كبار التابعين كما تتألق النجوم الزهر[٢] فى كبد السماء.. فهذه حلقة عروة بن الزبير[٣].. وتلك حلقة سعيد بن المسيب.. وهناك حلقة عبد الله بن عتبة[٤].

---

(١) استأثر: سيطر واستبد.
(٢) الزهر: المتلألئة.
(٣) عروة بن الزبير: انظره ص٣٨.
(٤) عبد الله بن عتبة: أحد كبار التابعين.

وفى ذات يوم صحا الخليفة من قيلولته[١] فى وقت كان لايصحو فيه عادة، فنادى حاجبه وقال: يا ميسرة.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: امض إلى مسجد الرسول ﷺ، وادع لنا أحد العلماء ليحدثنا..

مضى ميسرة إلى المسجد النبوى الشريف، وأجال نظره فيه فلم ير غير حلقة واحدة توسطها شيخ زاد على الستين من عمره فيه بساطة العلماء.. وعليه هيبتهم ووقارهم.

فوقف غير بعيد من الحلقة، وأشار للشيخ بإصبعه.. فلم يلتفت إليه الشيخ، ولم يأبه له[٢].

فاقترب منه وقال: ألم تر أنى أشير إليك؟!.

قال: إلى أنا؟!.

قال: نعم..

قال: وما حاجتك؟.

قال: استيقظ أمير المؤمنين وقال: امض إلى المسجد وانظر هل ترى أحداً من حداثى[٣]، فأتنى به.

فقال له الشيخ: ما أنا من حداثه.

فقال له ميسرة: ولكنه يبغى محدثاً يحدثه.

فقال الشيخ: إن من يبغى شيئا يأتى إليه.. وإن فى حلقة المسجد متسعاً له إذا كان راغباً فى ذلك.

والحديث يؤتى إليه، ولكنه لا يأتى..

فعاد الحاجب أدراجه وقال للخليفة: ما وجدت أحداً فى المسجد غير شيخ أشرت إليه فلم يقم، فدنوت منه وقلت: إن أمير المؤمنين استيقظ فى هذا الوقت وقال لى: انظر هل ترى أحداً من حداثى فى المسجد فادعه لى..

---

(١) القيلولة: نومة الضحى.

(٢) لم يأبه له: لم يلتفت إليه ولم يهتم به.

(٣) حداثى: الذين يحدثوننى.

فقال لى فى هدوء وحزم: إننى لست من حداثه.. وإن فى حلقة المسجد متسعاً له إذا كان راغباً فى الحديث.

فتنهد[١]عبد الملك بن مروان.. وهب قائماً،واتجه إلى داخل المنزل وهو يقول:

ذلك سعيد بن المسيب.. ليتك لم تأته، ولم تكلمه.. فلما ابتعد عن المجلس وصار فى الداخل، التفت أصغر أولاد عبد الملك إلى أخ له أكبر منه وقال:

من هذا الذى يمتنع[٢] على أمير المؤمنين، ويستكبر على المثول[٣] بين يديه، وحضور مجلسه..وقد دانت[٤] له الدنيا، وخضعت لهيبته، ملوك "الروم".

فقال الأخ الأكبر: ذاك الذى خطب أمير المؤمنين بنته لأخيك الوليد، فأبى أن يزوجها منه.

فقال الأخ الأصغر: أبى أن يزوجها من الوليد بن عبد الملك ؟!!.

وهل كان يروم لها بعلاً[٥] أسمى[٦] من ولى عهد أمير المؤمنين؟!... وخليفة المسلمين من بعده.

فسكت الأخ الأكبر ولم يجبه بشىء..

فقال الأخ الصغير: إذا كان قد ضن بابنته على ولى عهد أمير المؤمنين، فهل وجد لها الكفء[٧] الذى يليق بها؟..

أم إنه حال دونها ودون الزواج كما يفعل بعض الناس.. وتركها قعيدة بيت[٨].

فقال له أخوه الأكبر:

الحق أننى لا أعرف شيئا من خبرها، وخبره معها.. فالتفت إليهما أحد الجلوس من أبناء المدينة وقال:

إذا أذن لى الأمير قصصت عليه خبرها كله.. فقد تزوجت فتى من فتيان حينا يقال له: "أبو وداعة".

---

(١) تنهد: أخرج نفسه بعد مده حزناً وألماً.
(٢) يمتنع: يتعالى.
(٣) المثول: الوقوف.
(٤) دانت: خضعت.
(٥) بعلا: زوجاً.
(٦) أسمى: أعز وأكرم.
(٧) الكفء: المثيل والنظير.
(٨) قعيدة بيت: ملازمة للبيت.

وهو جارنا بيت بيت[١].. ولزواجه منها قصة طريفة رواها لى بنفسه.

فقال له الأخوان: هاتها..

فقال الرجل: حدثنى أبو وداعة قال:

كنت – كما تعلم– ألازم مسجد رسول الله ﷺ طلباً للعلم.

وكنت أداوم على حلقة سعيد بن المسيب، وأزاحم الناس عليها بالمناكب.. فتغيبت عن حلقة الشيخ أياماً، فتفقدنى، وظن أن بى مرضاً، أو عرض لى عارض.. فسأل عنى من حوله، فلم يجد عند أحد منهم خبراً.

فلما عدت إليه بعد أيام حيانى، ورحب بى وقال:

أين كنت يا أبا وداعة؟.

فقلت: توفيت زوجتى، فاشتغلت بأمرها.

فقال: هلا أخبرتنا يا أبا وداعة فنواسيك[٢]، ونشهد جنازتها معك، ونعينك على ما أنت فيه.

فقلت: جزاك الله خيراً.. وهممت أن أقوم.. فاستبقانى حتى انصرف جميع من كان فى المجلس، ثم قال لى:

أما فكرت فى استحداث زوجة[٣] لك يا أبا وداعة؟.

فقلت: يرحمك الله.. ومن يزوجنى ابنته وأنا شاب نشأ يتيماً، وعاش فقيراً فأنا لا أملك غير درهمين، أو ثلاثة دراهم.

فقال: أنا أزوجك ابنتى.

فانعقد[٤] لسانى وقلت: أنت ؟!.. أتزوجنى ابنتك بعد أن عرفت من أمرى ما عرفت ؟!.

فقال: نعم.. فنحن إذا جاءنا من نرضى دينه وخلقه زوجناه، وأنت عندنا مرضى الدين والخلق.. ثم التفت إلى من كان قريباً منا، وناداهم.

---

(١) جارنا بيت بيت: ملاصق لنا.
(٢) نواسيك: نعاونك.
(٣) استحداث زوجة لك: تجديد زواجك.
(٤) انعقد لسانى: ارتبط لسانى وعجزت عن الإفصاح.

فلما أقبلوا عليه، وصاروا عنده، حمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وعقد لى على ابنته.. وجعل مهرها درهمين اثنين.. فقمت وأنا لا أدرى ما أقول من الدهشة والفرح.

ثم قصدت بيتى، وكنت يومئذ صائماً، فنسيت صومى وجعلت أقول : ويحك[١] يا أبا وداعة.. ما الذى صنعت بنفسك؟!.. ممن تستدين؟!.. وممن تطلب المال؟!.

وظللت على حالي هذه حتى أذن للمغرب.. فأديت المكتوبة[٢]، وجلست إلى فطورى، وكان خبزاً، وزيتاً.. فما أن تناولت منه لقمة أو لقمتين حتى سمعت الباب يقرع.

فقلت: من الطارق؟.

فقال: سعيد.. فوالله لقد مر بخاطرى كل إنسان اسمه سعيد أعرفه إلا سعيد ابن المسيب.

ذلك لأنه لم ير منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد.

ففتحت الباب، فإذا بى أمام سعيد بن المسيب.. فظننت أنه قد بدا له[٣] فى أمر زواجى من ابنته شيء..

وقلت له: أبا محمد؟!.. هلا أرسلت إلى فآتيك.

فقال: بل أنت أحق بأن آتى إليك اليوم.

فقلت: تفضل على..

فقال: كلا، وإنما جئت لأمر..

فقلت: وما هو يرحمك الله؟

فقال: إن ابنتى أصبحت زوجة لك بشرع الله منذ الغداة[٤] ، وأنا أعلم أنه ليس معك أحد يؤنس وحشتك، فكرهت أن تبيت أنت فى مكان وزوجتك فى مكان آخر، فجئتك بها.

---

(١) ويح: كلمة ترحم وتوجع.
(٢) المكتوبة: المفروضة.
(٣) بدا له شيء: ظهر له ما غير رأيه.
(٤) الغداة: الضحى.

فقلت: ويحى.. جئتنى بها؟!.

فقال: نعم.. فنظرت، فإذا هى قائمة بطولها.

فالتفت إليها وقال: أدخلى إلى بيت زوجك يا بنتى على اسم الله، وبركته.. فلما أرادت أن تخطو، تعثرت[١] بملاءتها[٢] من الحياء حتى كادت تسقط على الأرض.

أما أنا فقد وقفت أمامها مشدوهاً[٣] لا أدرى ما أقول.. ثم إنى بادرت فسبقتها إلى القصعة[٤] التى فيها الخبز والزيت، فنحيتها من ضوء السراج حتى لاتراها.

ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران، فأقبلوا على وقالوا:

ما شأنك؟.

فقلت: عقد لى سعيد بن المسيب على ابنته اليوم فى المسجد.. وقد جاءنى بها الآن على غفلة.. فتعالوا آنسوها[٥] حتى أدعو أمى، فهى بعيدة الدار.

فقالت عجوز منهن: ويحك أتدرى ما تقول؟!.. أزوجك سعيد بن المسيب ابنته.. وحملها لك إلى البيت بنفسه؟!.

وهو الذى ضن بها على الوليد بن عبد الملك!!.

فقلت: نعم.. وهاهى ذى عندى فى بيتى، فهلموا[٦] إليها، وانظروها.

فتوجه الجيران إلى البيت، وهم لا يكادون يصدقوننى، ورحبوا بها، وآنسوا وحشتها..

وما هو إلا قليل حتى جاءت أمى، فلما رأتها التفتت إلى وقالت:

وجهى من وجهك حرام[٧] إن لم تتركها لى حتى أصلح شأنها.. ثم أزفها[٨] إليك كما تزف كرائم النساء.

فقلت: أنت وما تريدين.. فضمتها[٩] إليها ثلاثة أيام، ثم زفتها إلى.

فإذا هى من أبهى نساء المدينة جمالاً .. وأحفظ الناس لكتاب الله عز وجل..

---

(١) تعثرت: كبت حتى كادت تقع.
(٢) بملاءتها: بثوبها.
(٣) مشدوهاً: ذاهلاً حائراً.
(٤) القصعة: الصحفة التى يوضع فيها الطعام.
(٥) آنسوها: سلوها وأزيلوا وحشتها.
(٦) هلموا: بادروا.
(٧) وجهى من وجهك حرام: اخاصمك ولا أنظر إليك.
(٨) أزفها إليك: أهديها لك.
(٩) ضمتها إليها: استصحبتها.

وأرواهم لحديث الرسول ﷺ.. وأعرف النساء بحقوق الزوج.

فمكثت معها أياماً لا يزورنى أبوها أو أحد من أهلها.

ثم إنى أتيت حلقة الشيخ فى المسجد،فسلمت عليه،فرد على السلام،ولم يكلمنى.

فلما انفض[١] المجلس، ولم يبق غيرى قال:

ما حال زوجتك يا أبا وداعة؟.

فقلت: هى على ما يحب الصديق ويكره العدو..

فقال: الحمد لله.

فلما عدت إلى بيتى، وجدته قد وجه إلينا مبلغاً وفيراً من المال لنستعين به على حياتنا.

فقال ابن عبد الملك: عجيب أمر هذا الرجل.

فقال له رجل من أهل المدينة: وما وجه العجب فيه أيها الأمير؟.. إنه امرؤ جعل دنياه مطية[٢] لأخراه.. واشترى لنفسه ولأهله الباقية بالفانية[٣].. فوالله إنه ما ضن[٤] على ابن أمير المؤمنين بابنته.. ولا رآه غير كفء لها، وإنما خاف عليها فتنة الدنيا.. ولقد سأله بعض أصحابه فقال: أترد خطبة أمير المؤمنين، وتزوج ابنتك من رجل من عامة المسلمين ؟!.

فقال: إن ابنتى أمانة فى عنقى، وقد تحريت[٥] فيما صنعته لها صلاح أمرها.

فقيل له: وكيف ؟!.

فقال: ما شأنكم بها إذا انتقلت إلى قصور بنى "أمية".. وتقلبت بين رياشها[٦] وأثاثها[٧].. وقام الخدم والحشم والجوارى بين يديها، وعن يمينها، وعن شمالها.. ثم وجدت نفسها بعد ذلك زوجة للخليفة؟.

---

(١) انفض المجلس: غادر الحضور المجلس.
(٢) مطية: مركباً ووسيلة.
(٣) الباقية بالفانية: الآخرة بالدنيا.
(٤) ما ضن: ما بخل.
(٥) تحريت: توخيت وبحثت.
(٦) الرياش: ما كان فاخراً من اللباس ونحوه.
(٧) الأثاث: متاع البيت.

أين يصبح دينها يومئذ ؟.

فقال رجل من أهل الشام: يبدو أن صاحبكم طراز فريد[١] من الناس.

فقال الرجل المدنى: والله ما عدوت[٢] الحق أبداً.. فهو صوام نهار.. قوام ليل.. حج نحواً من أربعين حجة.. وما فاتته التكبيرة الأولى فى مسجد الرسول ﷺ منذ أربعين عاماً.

ولا عرف عنه أنه نظر إلى قفا رجل فى الصلاة خلال ذلك أبداً، لمحافظته على الصف الأول.

وقد كان فى وسعه أن يتزوج بمن يشاء من نساء قريش، فآثر[٣] بنت أبى هريرة[٤] رضى الله عنه على سائر النساء.

وذلك لمنزلته من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.. وسعة روايته لحديثه.. وشدة رغبته فى الأخذ عنه.

ولقد نذر نفسه للعلم منذ نعومة أظفاره.. فدخل على أزواج النبى ﷺ ، وتأثر[٥] بهن.. وتتلمذ على يدى زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر[٦].. وسمع من عثمان، وعلى، وصهيب[٧]، وغيرهم من صحابة النبى الكريم ﷺ.

وتخلق بأخلاقهم.. وتحلى بشمائلهم[٨].. ولقد كانت له كلمة يرددها على الدوام حتى غدت وكأنها شعار له، وهى قوله:

ما أعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله.. ولا أهانت نفسها بمثل معصيته.

رحم الله العالم الفقيه سعيد بن المسيب الذى توفى سنة ٩٤هـ كما قيل.. فقد قال عنه ابن عمر: سعيد بن المسيب أحد المفتين وقال قتادة: ما رأيت أحد أعلم من سعيد بن المسيب، وقال على بن المدينى لا أعلم فى التابعين أوسع علماً من

---

(١) طراز فريد: نوع نادر.
(٢) ما عدوت الحق: ما بعدت عن الحق ولا خرجت عليه.
(٣) آثر: اختار وفضل.
(٤) أبو هريرة: كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
(٥) تأثر بهن: انتفع منهن وسلك مسلكهن.
(٦) عبد الله بن عمر: فى كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
(٧) انظرهم فى كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
(٨) تحلى بشمائلهم: استمسك بأخلاقهم وصفاتهم وازدان بها.

سعيد هو عندى أجل التابعين وكان لا يقبل جوائز السلطان. وجل روايته المسند عن أبى هريرة. وكان الحسن البصرى إذا أشكل عليه شىء كتب إلى سعيد ابن المسيب يسأله.

* * *

## شريح بن الحارث الكندى - رضى الله عنه -

هو رجل "يمنى" الموطن، "كندى"[١] العشيرة، قضى شطراً غير يسير من حياته فى الجاهلية.

فلما أشرقت الجزيرة العربية بنور الهداية، ونفذت أشعة الإسلام إلى أرض "اليمن"، كان شريح من أوائل المؤمنين بالله ورسوله، المستجيبين لدعوة الهدى والحق.

وكان عارفو فضله ومقدرو شمائله[٢] ومزاياه، يأسون عليه أشد الأسى، ويتمنون أنه لو أتيح[٣] له أن يفد على المدينة مبكراً ليلقى رسول الله ﷺ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى، ولينهل من موارده[٤] الصافية المصفاة مباشرة لا بالوساطة.. ولكى يحظى بشرف الصحبة بعد أن حظى بنعمة الإيمان.. وبذلك يجمع الخير من أطرافه... ولكن ما قدر كان.

ولم يكن الفاروق رضوان الله عليه، متعجلاً حين عهد بمنصب من مناصب القضاء الكبرى لرجل من التابعين، على الرغم من أن سماء الإسلام كانت يومئذ ما تزال تتألق بالنجوم الزهر[٥] من صحابة رسول الله ﷺ... فقد أثبتت الأيام صدق فراسة[٦] عمر، وصواب تدبيره.

إذ ظل شريح يقضى بين المسلمين نحواً من ستين عاماً متتابعة من غير انقطاع... وقد تعاقب على إقراره فى منصبه كل من عمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) كندى العشيرة: منسوب إلى كندة (بكسر الكاف وسكون النون) وهى قبيلة عربية عظيمة ظهر منها كثير من المحدثين والعلماء.
(٢) شمائله أخلاقه ومزاياه.
(٣) أتيح له: قدر له.
(٤) ينهل من موارده: يرتوى من ينابيعه.
(٥) النجوم الزهر: النجوم المضيئة المتلألئة.
(٦) الفراسة: دقة التوقع.

كما أقره على ذلك من جاء بعد معاوية من خلفاء بنى "أمية"، حتى طلب الرجل إعفاءه من منصبه إبان[١] ولاية الحجاج.

وكان قد بلغ السابعة بعد المائة من حياته المديدة الرشيدة الحافلة بالمفاخر والمآثر[٢].

ولقد ازدان تاريخ القضاء فى الإسلام ببدائع من مواقف شريح، وزها بروائع من انصياع[٣] خاصة المسلمين وعامتهم لشرع الله الذى يمثله شريح، ونزولهم عند أحكامه... وامتلأت بطون الكتب بطرائف هذا الرجل الفذ وأخباره، وأقواله وأفعاله.

رضى الله عن الفاروق، فقد زان مفرق[٤] القضاء فى الإسلام بلؤلؤة كريمة الأعراق... صافية الجوهر... رائعة المجتلى... وحبا[٥] المسلمين مصباحاً منيراً، مازالوا حتى اليوم يستضيئون بسنا فقهه لشرع الله... ويهتدون بنور فهمه لسنة رسول الله... ويباهون به الأمم يوم القيامة.

ورحم الله شريحاً القاضى، فقد روى عن عمر وعلى وابن مسعود وتوفى سنة ٧٨هـ بعد أن أقام العدل بين الناس ستين عاماً.

* * *

(١) إبان: حين.
(٢) المآثر: الأفعال الحميدة ذوات الآثار الجليلة.
(٣) الانصياع: الاتباع.
(٤) المفرق: مفرد وجمعه مفارق... ومفارق القضاء: وجوهه الواضحة.
(٥) حبا المسلمين: منح المسلمين.

## محمد بن سيرين - رضى الله عنه -

ولد "محمد بن سيرين" لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وربى فى بيت يتضوع[١] الورع والتقى من كل ركن من أركانه..

ولما أيفع[٢] الغلام اللبيب، وجد مسجد رسول الله ﷺ يزخر[٣] بالبقية الباقية من كرام الصحابة وكبار التابعين من أمثال زيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وعمران ابن الحصين.. وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبى هريرة.

فأقبل عليهم إقبال الظامئ على المورد العذب.. ونهل من علمهم بكتاب الله، وفقههم بدين الله، وروايتهم لحديث رسول الله ﷺ ما أفعم[٤] عقله حكمة وعلماً، وأترع نفسه صلاحاً وهدياً وروى عن مولاه أنس وعن أبى هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم.. ثم انتقل وأسرته إلى "البصرة" واتخذوها موطناً.

كانت "البصرة" يومئذ مدينة شابة بكراً.. فقد اختطها المسلمون فى أواخر خلافة الفاروق رضى الله عنه.

وكانت تمثل جل[٥] خصائص الأمة الإسلامية فى ذلك العصر.

فهى قاعدة عسكرية لجيوش المسلمين الغازية فى سبيل الله.. وهى مركز من مراكز التعليم والتوجيه للداخلين فى دين الله من أهل "العراق" و"فارس"..

وهى صورة للمجتمع الإسلامى الجاد الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لأخراه كأنه يموت غداً.

سلك محمد بن سيرين فى حياته الجديدة فى "البصرة" طريقين متوازيين متوازنين:

فجعل شطراً من يومه للعلم والعبادة.. وشطراً آخر للكسب والتجارة.

---

(١) يتضوع: ينتشر انتشار المسك.
(٢) أيفع: ترعرع وقارب البلوغ.
(٣) يزخر: يمتلئ.
(٤) أفعم: ملأ.
(٥) جل: أكثر.

فكان إذا انبلج الفجر وأشرقت الدنيا بنور ربها، غدا إلى مسجد "البصرة" يعلم ويتعلم.

حتى إذا ارتفع النهار مضى من المسجد إلى السوق يبيع ويشترى.. فإذا جاء الليل وأرخى على الكون سدوله[١] صف فى محراب بيته، وانحنى على أجزاء القرآن بصلبه، وبكى من خشية الرحمن بدموع عينيه وقلبه.. حتى يشفق عليه أهله وجيرانه الأدنون[٢] لما يسمعونه من نحيبه الذى يقطع نياط القلوب[٣].

وكان – وهو يطوف بالسوق فى النهار للبيع والشراء- لا يفتأ يذكر الناس بالآخرة.. ويبصرهم بالدنيا.. ويرشدهم إلى ما يقربهم إلى الله.. ويفصل فيما يشجر[٤] بينهم من خلاف.

وكان يطرفهم[٥] بين الحين والحين بالملحة[٦] التى تمسح الهم عن نفوسهم المكدودة، من غير أن ينقص ذلك من هيبته ووقاره عندهم شيئاً.

فقد وهبه الله جل وعز هدياً وسمتاً[٧]، ومنحه قبولاً وتأثيراً..

فكان الناس إذا رأوه فى السوق – وهم غارقون غافلون- انتبهوا، فذكروا الله عز وجل، وهللوا وكبروا..

وكانت سيرته العملية خير مرشد للناس.. فما عرض له أمران فى تجارته إلا أخذ بأوثقهما فى دينه.. ولو كانت فيه خسارة تصيب دنياه..

وكانت دقة فهمه لأسرار الدين، وصحة نظرته إلى ما يحل وما لا يحل تدفعه أحياناً إلى بعض المواقف التى تبدو غريبة لعيون الناس.

وكان مجلس ابن سيرين، مجلس خير وبر وموعظة.. فإذا ذكر عنده رجل بسيئة، بادر فذكره بأحسن ما يعلم من أمره.

بل إنه سمع أحدهم يسب الحجاج[٨] بعد وفاته، فأقبل عليه وقال: صه، يا بن أخى.. فإن الحجاج مضى إلى ربه..

---

(١) سدوله: أستاره.
(٢) جيرانه الأدنون: جيرانه الأقربون الملاصقون.
(٣) النياط: جمع مفرده نوط، وهو عرق معلق بالقلب إذا انقطع مات الإنسان.
(٤) فيما يشجر بينهم: فيما يتنازعون فيه.
(٥) يطرفهم: يأتيهم بالحديث المستحسن.
(٦) الملحة: ما لذ من الأحاديث.
(٧) السمت: هيئة أهل الخير.
(٨) الحجاج: هو الحجاج بن يوسف الثقفى أحد ولاة بنى أمية العتاة الأشداء، أفاض المؤرخون فى ذكر بطشه وقسوته وفتكه.

وإنك حين تقدم على الله جل وعز، ستجد أن أحقر ذنب ارتكبته فى الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنب اجترحه الحجاج.. فلكل منكما يومئذ شأن يغنيه.

واعلم يا بن أخى أن الله جل وعز سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم كما سيقتص للحجاج ممن يظلمونه.. فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد.

ولقد كانت لمحمد بن سيرين مع ولاة بنى "أمية" مواقف مشهودة صدع[١] فيها بكلمة الحق، وأخلص النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.

ولقد شاء الله جل وعز أن يبلو صدق محمد بن سيرين وصبره، فعرضه[٢] لما يتعرض له المؤمنون من المحن..

من ذلك أنه اشترى ذات مرة زيتاً بأربعين ألفاً مؤجلة[٣].. فلما فتح أحد زقاق[٤] الزيت، وجد فيه فأراً ميتاً متفسخاً.

فقال فى نفسه: إن الزيت كله كان فى المعصرة فى مكان واحد، وإن النجاسة ليست خاصة بهذا الزق دون سواه.. وإنى إن رددته للبائع بالعيب[٥] فربما باعه للناس.. ثم أراقه كله.

وقد وقع ذلك فى وقت كان يشكو فيه من خسارة كبيرة حلت به.

فركبه الدين، وطالبه صاحب الزيت بماله، فلم يستطع سداده.. فرفع أمره إلى الوالى، فأمر بحبسه حتى يسدد ما عليه.

فلما صار فى السجن وطال مكوثه[٦] فيه، أشفق عليه السجان لما علم من أمر دينه، وما رأى من شدة ورعه وطول عبادته، فقال له:

أيها الشيخ، إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك وبت معهم.. فإذا أصبحت فعد إلى.. واستمر على ذلك حتى يطلق سراحك.

فقال له: لا والله لا أفعل.

فقال السجان: ولم، هداك الله ؟!.

---

(١) صدع : جهر.
(٢) عرضه للمحنة: جعله هدفاً لها.
(٣) مؤجلة: مؤخرة الثمن.
(٤) الزقاق: جمع زق، وهو وعاء من جلد يوضع فيه الماء ونحوه من السوائل.
(٥) بالعيب: بسبب العيب، والرد بسبب العيب من حقوق المشترى.
(٦) مكوثه: إقامته.

فقال له: حتى لا أعاونك على خيانة ولى الأمر.

ولما احتضر أنس بن مالك رضي الله عنه،أوصى بأن يغسله محمد بن سيرين ويصلى عليه، وكان ما يزال سجيناً.

فلما توفى جاء الناس إلى الوالى وأخبروه بوصية صاحب رسول الله وخادمه، واستأذنوه فى أن يخلى سبيل محمد بن سيرين لإنفاذ الوصية فأذن له.

فقال لهم محمد بن سيرين: لا أخرج حتى تستأذنوا صاحب الدين، فإنما حبست بما له على من الحق... فأذن له الدائن أيضاً.

عند ذلك خرج من سجنه فغسل أنساً، وكفنه، وصلى عليه.. ثم رجع إلى السجن كما هو.. ولم يذهب لرؤية أهله.

عمر محمد بن سيرين حتى بلغ السابعة والسبعين.. فلما أتاه اليقين[1] وجده خفيف الحمل من أعباء الدنيا.. كثير الزاد .

رحم الله محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك فقد كان فقيها وإماما غزير العلم، ثقة، علامة فى تعبير الرؤيا رأسا من الورع..وقد قال عنه مورق العجلى: ما رأيت أحداً أفقه فى ورعه ولا أروع من فقهه من ابن سيرين.. وقد توفى سنة ١١٠هـ بعد الحسن بمائة يوم.

* * *

(١) اليقين: الموت.

## سعيد بن جبير - رضى الله عنه -

هو سعيد بن جبير فتى حبشى فى الأصل، عربى الولاء لم ينقص لونه الأسود وشعره "المفلفل" من قدره وشخصيته وخاصة إنه أدرك منذ نعومة أظفاره قيمة العلم والتقى حتى أصبح من أجل فقهاء العلم فى عصره.

وقد أخذ الفتى سعيد بن جبير العلم عن طائفة من كبار الصحابة من أمثال أبى سعيد الخدرى، وعدى بن حاتم الطائى...وأبى موسى الأشعرى، وأبى هريرة الدوسى...وعبد الله بن عمر،وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وعنهم أجمعين.

بيد أن أستاذه الأكبر، ومعلمه الأعظم كان عبد الله بن عباس، حبر أمة محمد، وبحر علمها الزاخر.

لزم سعيد بن جبير عبد الله بن عباس لزوم الظل لصاحبه... فأخذ عنه القرآن وتفسيره، والحديث وغريبه... وتفقه على يديه فى الدين، وتعلم منه التأويل... ودرس عليه اللغة، فتمكن منها أعظم التمكن... حتى غدا وما على ظهر الأرض أحد من أهل زمانه إلا وهو محتاج إلى علمه.

ثم تنقل فى ديار المسلمين بحثاً عن المعرفة فلما اكتمل له ما أراد من العلم، اتخذ "الكوفة" داراً له ومقاماً. وغدا لأهلها معلماً وإماماً.

كان يؤم الناس فى رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود... وأخرى بقراءة زيد بن ثابت... وثالثة بقراءة غيرهما، وهكذا.

وكان إذا صلى منفرداً فربما قرأ القرآن كله فى صلاة واحدة، وكان إذا مر بقول الله عز وجل:﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر:٧٠-٧٢]. أو مر بنحوها من آيات الوعد والوعيد، اقشعر جلده... وتصدع فؤاده... وسالت دموعه... ثم لايزال يبدأ فيها ويعيد حتى يوشك أن يقضى نحبه.

وقد دأب على شد رحاله إلى البيت الحرام كل عام مرتين... مرة فى رجب محرماً بعمرة، وأخرى فى ذى القعدة محرماً بحج.

وقد كان طلاب العلم وشداة الخير والبر والنصح، يتوافدون على "الكوفة" لينهلوا من مناهل سعيد بن جبير الثرية العذبة... ويغترفوا من هديه القويم.

وقد كانت "الكوفة" حين اتخذها سعيد بن جبير دار إقامة له، خاضعة للحجاج ابن يوسف الثقفى... إذ كان الحجاج يومئذ والياً على "العراق"، والمشرق، وبلاد ما وراء النهر، وكان يتربع حينئذ على ذروة سطوته وسلطانه... وذلك بعد أن قتل عبد الله بن الزبير، وقضى على حركته.

وأخضع "العراق" لسلطان بنى "أمية"، وأخمد نيران الثورات القائمة هنا وهناك... وأعمل السيف فى رقاب العباد ... وأشاع الرعب فى أرجاء البلاد... حتى امتلأت القلوب رهبة منه وخشية من بطشه.

ثم شاء الله أن يقع صدام بين الحجاج بن يوسف الثقفى وبين عبد الرحمن ابن الأشعث أحد كبار قواده.

وأن يتحول الصدام إلى فتنة أكلت الأخضر واليابس... وتركت فى جسم المسلمين جراحات غائرة.

اغتنم عبد الرحمن بن الأشعث هذه الفرصة، ودعا الفقهاء والقراء إلى مؤازرته.

فاستجابت له كوكبة من جلة التابعين وأئمة المسلمين، وعلى رأسهم سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبى ليلى.. والشعبى، وأبو البختري، وغيرهم، وغيرهم الكثيرون.

ودارت رحى الحرب بين الفريقين، وكان النصر فيها أول الأمر لابن الأشعث ومن معه على الحجاج وجنوده.

ثم بدأت كفة الحجاج ترجح شيئاً فشيئاً.. حتى هزم ابن الأشعث هزيمة منكرة... وفر ناجياً بنفسه. واستسلم جيشه للحجاج وجنوده.

أمر الحجاج مناديه أن ينادى فى المقاتلين المهزومين، وأن يدعوهم لتجديد بيعته.

فاستجاب أكثرهم له، وتوارى بعضهم عنه.

وكان بين المتوارين سعيد بن جبير – رضى الله عنه وأرضاه–.

وظل يضرب فى أرض الله الواسعة مستخفياً عن الحجاج وعيونه حتى لجأ إلى قرية صغيرة فى أراضى مكة.

وبقى على حاله هذه عشر حجج كاملات كانت كافية لأن تطفئ نيران الحجاج المتقدة فى قلبه، وأن تزيل ما فى نفسه من ضغن عليه.

بيد أنه حدث ما لم يكن يتوقعه أحد... ذلك أنه قدم على مكة وال جديد من ولاة بنى "أمية"... هو "خالد بن عبد الله القسرى".

فتوجس أصحاب سعيد بن جبير خيفة منه، لما كانوا يعرفون من سوء سيرته، وتوقعوا الشر على يديه.

فجاء بعضهم إلى سعيد وقالوا له:

إن هذا الرجل قدم مكة، وإنا – والله– لا نأمنه عليك... فاستجب لطلبنا، واخرج من هذا البلد.

فقال: والله لقد فررت حتى صرت استحى من الله... ولقد عزمت على أن أبقى فى مكانى هذا... وليفعل الله بى ما يشاء.

وبالفعل ما أن علم بمكان سعيد بن جبير حتى أرسل إليه سرية من جنوده، وأمرهم أن يسوقوه مقيداً إلى الحجاج فى مدينة "واسط"[١].

فأطبق الجند على بيت الشيخ... وألقوا القيد فى يديه على مرأى من بعض أصحابه... وآذنوه[٢] بالرحيل إلى الحجاج، فتلقاهم هادئ النفس مطمئن القلب.

ثم التفت إلى أصحابه وقال:

ما أرانى إلا مقتولاً على يدى ذلك الظالم ... ولقد كنت أنا وصاحبان لى فى ليلة عبادة، فاستشعرنا حلاوة الدعاء فدعونا الله بما دعونا ، وتضرعنا إليه بما شاء أن نتضرع... ثم سألنا الله عز وجل أن يكتب لنا الشهادة، وقد رزقها الله لصاحبى كليهما، وبقيت أنا أنتظرها.

---

(١) واسط: مدينة واقعة بين البصرة والكوفة، وقد سميت بذلك لأنها تقع فى وسطهما، فتبعد عن كل منهما خمسين ميلاً.

(٢) آذنوه: دعوه وأعلموه.

ثم إنه ما كاد ينتهى من كلامه حتى طلعت عليه بنية صغيرة له، فرأته مقيداً والجند يسوقونه، فتشبثت به، وجعلت تبكى وتنشج... فنحاها عنه برفق، وقال لها: قولى لأمك يا بنية: إن موعدنا الجنة إن شاء الله تعالى... ثم مضى.

بلغ الجند بالإمام الحبر العابد الزاهد، التقى النقى الورع مدينة "واسط"، وأدخلوه على الحجاج.

فلما صار عنده نظر إليه فى حقد وقال: ما اسمك؟.

فقال: سعيد بن جبير.

فقال: بل شقى بن كسير(١).

فقال: بل كانت أمى أعلم باسمى منك.

فقال: ما تقول فى محمد؟.

قال: تعنى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؟!.

فقال: نعم.

قال: سيد ولد آدم، النبى المصطفى... خير من بقى من البشر، وخير من مضى... حمل الرسالة، وأدى الأمانة... ونصح لله، ولكتابه، ولعامة المسلمين، وخاصتهم.

قال: فما تقول فى أبى بكر؟.

قال: هو الصديق خليفة رسول الله ﷺ، ذهب حميداً، وعاش سعيداً... ومضى على منهاج النبى ﷺ، لم يغير ولم يبدل.

قال: فما تقول فى عمر؟!.

قال: هو الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل ... وخيرة الله وخيرة رسوله، ولقد مضى على منهاج صاحبيه... فعاش حميداً، وقتل شهيداً.

قال: فما تقول فى عثمان.

---

(١) كسير: ضد جبير.

قال: هو المجهز لجيش العسرة[١]... الحافر بئر[٢] رومة... المشترى بيتاً لنفسه فى الجنة... صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه.

ولقد زوجه النبى بوحى من السماء، وهو المقتول ظلماً.

قال: فما تقول فى على؟!.

قال: ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم من الفتيان... وهو زوج فاطمة البتول[٣]... وأبو الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة.

قال: فأى خلفاء بنى "أمية" أعجب لك؟.

قال: أرضاهم لخالقهم.

قال: فأيهم أرضى للخالق؟.

قال: علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم.

قال: فما تقول فى؟.

قال: أنت أعلم بنفسك.

قال: بل أريد علمك أنت.

قال: إذن يسوءك ولا يسرك.

قال: لابد من أن أسمع منك.

قال: إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى... تقدم على أمور تريد بها الهيبة، وهى تقحمك فى الهلكة... وتدفعك إلى النار دفعاً.

قال: أما والله لأقتلنك.

قال: إذن تفسد على دنياى، وأفسد عليك آخرتك.

قال: اختر لنفسك أى قتلة شئت.

---

(١) جيش العسرة: جيش غزوة تبوك.

(٢) بئر رومة: بئر فى عقيق المدينة المنورة اشتراها عثمان بن عفان بمائة ناقة، وتصدق بها على المسلمين.

(٣) البتول: النقية الطاهرة.

obeikandl.com

قال: بل اخترها أنت لنفسك يا حجاج... فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟.

قال: إن كان عفو فمن الله تعالى... أما أنت فلا براءة[١] لك ولا عذر.

فاغتاظ الحجاج وقال: السيف والنطع[٢] يا غلام.

فتبسم سعيد، فقال له الحجاج:

وما تبسمك؟!.

قال: عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك.

فقال: اقتله يا غلام.

فاستقبل القبلة وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ[٣] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا[٤] وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :٧٩].

فقال: احرفوا[٥] وجهه عن القبلة.

فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا[٦] فَثَمَّ[٧] وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

فقال: كبوه[٨] على الأرض.

فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥].

فقال: اذبحوا عدو الله، فما رأيت رجلاً أدعى[٩] منه لآيات القرآن... فرفع سعيد كفيه وقال: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدى.

لم يمض على مصرع سعيد بن جبير غير خمسة عشر يوماً حتى حم[١٠] الحجاج، واشتدت عليه وطأة المرض.

---

(١) لا براءة لك: لا عفو من عندك.
(٢) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالقتل.
(٣) فطر: خلق وأنشأ.
(٤) حنيفاً: مائلاً إلى الدين القيم.
(٥) احرفوا وجهه: أميلوا وجهه.
(٦) تولوا: تتجهوا.
(٧) ثم وجه الله: هناك قبلة الله التى ترضاها.
(٨) كبوه على الأرض: اقلبوه على الأرض.
(٩) أدعى منه: استحضاراً منه.
(١٠) حم: أصابته الحمى.

obeikandl.com

فكان يغفو ساعة ويفيق أخرى..فإذا غفا غفوة صغيرة، استيقظ مذعوراً وهو يصيح:

هذا سعيد بن جبير آخذ بخناقى... هذا سعيد بن جبير يقول: فيم قتلتنى؟!.

ثم يبكى ويقول:

مالى ولسعيد بن جبير؟!! ردوا عنى سعيد بن جبير... فلما قضى نحبه ووارى ترابه، رآه بعضهم فى الحلم فقال له:

ما فعل الله بك فيمن قتلتهم يا حجاج؟.

فقال: قتلنى الله بكل امرئ قتلة واحدة... وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

* * *

## عبد العزيز بن مروان - رضى الله عنه -

هو أبو الأصبغ عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية القرشى، عاشر أمراء مصر الإسلامية، وخامس أمراء بنى أمية، وأول أمير من قبل بنى مروان، فقد ولاه أبوه مروان بن الحكم مصر، فوصلها فى رجب عام ٦٥ للهجرة.

وكان مروان قد زحف على مصر فى غرة جمادى الأولى عام ٦٥ للهجرة، وبعد صراع مع الزبيريين استتب الأمر لمروان، وولى ابنه عبد العزيز أمر مصر، ولما توفى مروان فى ٢٧ من رمضان عام ٦٥ للهجرة، تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، وأقر إمرة أخيه عبد العزيز على مصر.

كان عبد العزيز أقرب أبناء مروان إليه، فقد عاصر الأحداث الأخيرة فى الدولة الإسلامية من أول الفتنة، فكان مع مروان[1] أبيه يوم قتل عثمان، وكان طفلاً صغيراً، ثم خرج معه إلى الشام عندما طردهم ابن الزبير من المدينة، بعد وفاة يزيد عام ٦٣ للهجرة، ودرس عبد العزيز السياسة من ينابيعها وأحداثها،

(١) مع أن أخاه عبد الملك ولد قبله عام ٢٦ للهجرة، وولد عبد العزيز بعده.

ودرس الدين من مصبه فى المدينة، وروى عن أبى هريرة أحاديث عن رسول الله ﷺ، وقد عده ابن سعد – فى طبقاته– فى الطبقة الثانية من التابعين.(١)

وعبد العزيز والد خامس الخلفاء الراشدين (عمر)، الذى تولى الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك عام ٩٩ للهجرة.

قال ابن سعد: لما أراد عبد العزيز الزواج من أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب، قال لقيمه: اجمع لى أربعمائة دينار(٢) من أطيب مالى، فإنى أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح.(٣)

* * *

## رجـاء بن حيـوة – رضى الله عنه –

ولد رجاء بن حيوة فى "بيسان" من أرض "فلسطين".. وكانت ولادته فى أواخر خلافة عثمان بن عفان أو نحو من ذلك.. وكان ينتمى إلى قبيلة "كندة" العربية.

وعلى هذا فرجاء "فلسطينى" الوطن.. عربى الأصل.. "كندى" العشيرة.

وقد نشأ الفتى الكندى فى طاعة الله منذ حداثة سنه، فأحبه الله وحببه إلى خلقه.

وأقبل على طلب العلم منذ نعومة أظفاره فوجد العلم فؤاده غضاً طرياً خالياً، فتمكن منه، واستقر فيه.

وجعل همه الأكبر النهم من كتاب الله، والتزود من حديث رسول الله ﷺ .

فاستضاء فكره بنور القرآن.. واستنارت بصيرته بهدى النبوة.. وامتلأ صدره بالموعظة والحكمة.. ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً.

وقد أتيح له أن يأخذ عن طائفة كبيرة من جلة الصحابة من أمثال: أبى سعيد الخدرى،وأبى الدرداء، وأبى أمامة، وعبادة بن الصامت..ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والنواس بن سمعان، وغيرهم. وروى عن معاوية وعبد الله بن عمر وجابر وغيرهم.

فكانوا له مصابيح هداية، ومشاعل عرفان.

---

(١) الطبقات ٥/ ٢٣٦.
(٢) مثل مهور أمهات المؤمنين.
(٣) الطبقات ٥/ ٣٣١.

وقد وضع الفتى المحظوظ لنفسه دستوراً ظل يلتزم به ويردده ما امتدت بـه الحياة، حيث كان يقول:

ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان.. وما أحسن الإيمان يزينه التقى.. وما أحسن التقى يزينه العلم.. وما أحسن العلم يزينه العمل.. وما أحسن العمل يزينه الرفق.

وقد وزر[١] رجاء بن حيوة لطائفة من خلفاء بنى "أمية" ابتداء من عبد الملـك ابن مروان، وانتهاء بعمر بن عبد العزيز.

لكن صلته بسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فاقت صـلاته بمـن سبقهما من الخلفاء.

وقد أدناه من قلوب خلفاء بنى "أمية" رجاحة فى رأيه.. وصدق فى لهجتـه.. وإخلاص فى نيته.. وحكمة فى معالجته الأمور.. ثم توج ذلك كله بزهده بما فى أيديهم من عرض الدنيا مما كان يتزاحم عليه المتزاحمون.

وقد كان اتصاله بخلفاء بنى "أمية" من عظيم رحمـة الله بهـم، وجزيـل إكرامه لهم.

فلقد دعاهم إلى الخير، ودلهم على طرقه.. وثناهم[٢] عن الشر، وأوصد دونهم أبوابه.. وأراهم الحق وزين لهم اتباعه.. وبصرهم بالباطل وكره إليهم إتيانـه.. فنصح لله ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ولقد وقعت لرجاء قصة أنارت له طريقه فى مخالطة الخلفاء، وحـددت لـه مهمته معهم رواها بنفسه فقال:

إنى لواقف مع سليمان[٣] بن عبد الملك فى جموع من الناس، إذ رأيت رجـلاً يتجه نحونا وسط الزحام.

وكان حسن الصورة جليل الهيئة ، فمازال يشق الصفـوف وأنا ما أشـك أنه

---

(١) وزر: صار وزيراً.
(٢) ثناهم عن الشر: صرفهم عن الشر.
(٣) سليمان بن عبد الملك: من أكابر خلفاء بنى أمية، أسس مدينة "الرملة" بفلسطين، حارب البيزنطيين وحاصر "القسطنطينية".

يروم[١] الخليفة حتى حاذانى[٢]، ووقف إلى جانبى، ثم حيانى وقال:

يا رجاء... إنك قد ابتليت بهذا الرجل.

وأشار إلى الخليفة.

وإن فى القرب منه الخير الكثير، أو الشر الكثير.. فاجعل قربك منه خيراً لك وله وللناس.

واعلم يا رجاء أنه من كانت له منزلة من السلطان ، فرفع إليه حاجة امرئ ضعيف لايستطيع رفعها، لقى الله عز وجل يوم يلقاه وقد ثبت قدميه للحساب[٣].. واذكر يا رجاء أن من كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته.

واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله عز وجل، إدخال الفرح على قلب امرئ مسلم.

وفيما كنت أتأمل كلامه وأترقب أن يزيدنى منه، نادى الخليفة قائلاً:

أين رجاء بن حيوة؟.

فانعطفت[٤] نحوه وقلت: هأنذا يا أمير المؤمنين.

فسألنى عن شىء، فما كدت أفرغ من جوابه حتى التفت إلى صاحبى فلم أجده.. فنفضت المكان عنه نفضاً[٥]، فلم أقع له على أثر بين الناس.

ولقد كانت لرجاء بن حيوة مع خلفاء بنى "أمية" مواقف صدق مازال يحفظها التاريخ فى أزهى صفحاته، ويرويها الخلف عن السلف.

من ذلك أنه كان ذات يوم فى مجلس عبد الملك بن مروان فوصف للخليفة رجل بسوء طويته[٦] على بنى "أمية" ، وقيل له:

إنه يشايع ابن الزبير[٧]، وينتصر له... وذكر الواشى له من أفعاله وأقواله ما أثار حفيظته[٨] فقال:

---

(١) يروم الخليفة: يريد الخليفة.
(٢) حاذانى: صار إزائى.
(٣) ثبت قدميه للحساب: أمكنه من الحساب ويسره له.
(٤) انعطفت: ملت.
(٥) نفضت المكان عنه: تحريت المكان بحثاً عنه.
(٦) طويته: ما يطويه فى صدره من نية.
(٧) ابن الزبير: هو عبد الله بن الزبير منافس عبد الملك بن مروان على الخلافة.
(٨) حفيظته: الغضب.

والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن، ولأفعلن... ولأضعن السيف فى عنقه.

ولم يمض وقت طويل حتى أمكنه الله من الرجل، وسيـق إليـه سوقاً... فلما وقعت عيناه عليه، كاد يمور من الغيظ، وهم بأن ينفذ وعيده به.. فقام إليه رجاء ابن حيوة وقال:

يا أمير المؤمنين .. إن الله عز وجل قد صنع لك ما تحبه من القدرة ، فاصنع لله ما يحبه من العفو.. فسكنت نفس الخليفة، وسكت عنه غضبه.. وعفـا عـن الرجل، وأطلق سراحه، وأحسن إليه.

وفى سنة إحدى وتسعين حج الوليد بن عبد الملك وبصحبته رجاء بن حيوة.

فلما بلغا المدينة زارا مسجدها النبوى الشريف يرافقهما عمر بن عبد العزيز.

وقد رغب الخليفة فى أن ينظر إلى الحرم النبوى نظرة أناة وروية. إذ كان قد عقد العزم على توسعته حتى يكون مائتى ذراع.

فأخرج الناس من المسجد ليتمكن الخليفة من تأمله.

ولم يبق فيه غير سعيد بن المسيب، إذ لم يجرؤ الحرس على إخراجه.

فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز – وكان يومئذ والياً على المدينـة– رسـولاً يقول له:

لو خرجت من المسجد كما خرج الناس.

فقال سعيد بن المسيب: لا أغادر المسجد إلا فى الوقت الذى اعتدت أن أغادره فيه كل يوم.

فقيل له: لو قمت فسلمت على أمير المؤمنين.

فقال: إنما جئت إلى هنا لأقوم لرب العالمين.

فلما عرف عمر بن عبد العزيز ما دار بين رسوله وسعيد بن المسيب، جعـل يعدل[١] بالخليفة عن المكان الذى فيه سعيد.. وأخذ رجاء بـن حيـوة يشـاغله بالكلام، لما كانا يعلمان من شدة عنفوان[٢] الخليفة.

---

(١) جعل يعدل بالخليفة: أخذ يميل بالخليفة ويبعده. (٢) العنفوان: الشدة.

فقال لهما الوليد: من ذلك الشيخ؟... أليس هو سعيد بن المسيب؟.

فقالا: بلى يا أمير المؤمنين.

وطفقا يصفان من دينه وعلمه، وفضله وتقواه الشيء الكثير.

ثم قالا: ولو علم الشيخ بمكان أمير المؤمنين لقام إليه وسلم عليه، ولكنه ضعيف البصر.

فقال الوليد: إنى لأعلم من حاله مثلما تذكران..وهو أحق أن نأتيه ونسلم عليه.

ثم دار فى المسجد حتى أتاه، ووقف عليه، وحياه وقال:

كيف الشيخ؟.

فلم ينهض من مكانه، وقال:

بنعمة من الله ، وله الحمد والمنة.. فكيف أمير المؤمنين، وفقه الله لما يحبه ويرضاه.. فانصرف الوليد وهو يقول:

هذا بقية الناس... هذا بقية سلف هذه الأمة.

ولما أفضت[١] الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك كان لرجاء بن حيوة عنده شأن يفوق شأنه عند سابقيه.

فقد كان سليمان عظيم الثقة به، شديد الاعتماد عليه، حريصاً على أن يأخذ برأيه فى صغير الأمور وكبيرها... ومواقف رجاء بن حيوة مع سليمان بن عبد الملك كثيرة مثيرة.

بيد أن أكبرها شأناً وأعظمها على الإسلام والمسلمين خطراً، موقفه من أمر ولاية العهد، وأثره فى البيعة لعمر بن عبد العزيز.

حدث رجاء بن حيوة قال: لما كان أول يوم جمعة من شهر صفر سنة تسع وتسعين كنا مع أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك "بدابق".[٢]

وكان قد أرسل جيشاً كبيراً إلى "القسطنطينية"بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، ومعه ابنه داود، وطائفة كبيرة من آل بيته.

---

(١) أفضت الخلافة إلى فلان: آلت إليه وصارت له.

(٢) دابق: قرية قرب حلب فى سورية كان ينزلها بنو أمية إذا غزوا بلاد الروم، وبها قبر سليمان بن عبد الملك.

وقد آلى[١] على ألا يبرح "مرج دابق" حتى يفتح الله عليه "القسطنطينية" أو يموت.

فلما اقترب موعد صلاة الجمعة، توضأ الخليفة فأحسن الوضوء، ثم لبس حلة خضراء، واعتم بعمامة خضراء.

ونظر فى المرآة نظرة معجب بنفسه، مزهو بشبابه. وكان فى نحو الأربعين من عمره.. ثم خرج ليصلى بالناس الجمعة، فلم يرجع من المسجد إلا وهو موعوك[٢].. ثم أخذ يثقل عليه المرض يوماً بعد يوم.

وقد سألنى أن أظل قريباً منه... فدخلت عليه ذات مرة فوجدته يكتب كتاباً.

فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟.

فقال: أكتب كتاباً أعهد[٣] به إلى ابنى أيوب.

فقلت: يا أمير المؤمنين... إن مما يحفظ الخليفة فى قبره، ويبرئ ذمته عند ربه، أن يستخلف على الناس الرجل الصالح.

وإن ابنك أيوب غلام لم يبلغ الحلم بعد، ولم يتبين لك صلاحه من طلاحه..

فتراجع وقال: إنه كتاب كتبته... وأنا أريد أن أستخير الله فيه... ولم أعزم عليه... ثم مزق الكتاب... ومكث بعد ذلك يوماً أو يومين، ثم دعانى وقال: ما رأيك فى ولدى داود يا أبا المقدام؟.

فقلت: هو غائب مع جيوش المسلمين فى "القسطنطينية"... وأنت لا تدرى الآن أحى هو أم ميت؟.

فقال: فمن ترى إذن يا رجاء؟.

فقلت: الرأى لك يا أمير المؤمنين... وكنت أريد أن أنظر فيمن يذكرهم لكى أستبعدهم واحداً واحداً، حتى أصل إلى عمر بن عبد العزيز.

فقال: كيف ترى عمر بن عبد العزيز؟.

---

(١) آلى: حلف.
(٢) الموعوك: من أصابته الحمى.
(٣) أعهد به لابنى: أى أعهد له بالخلافة.

فقلت: ما علمته – والله- إلا فاضلاً، كاملاً، عاقلاً، ديناً...

فقال: صدقت... إنه – والله- لكذلك...

ولكن إن وليته وأغفلت أولاد عبد الملك[١] لتكونن فتنة، ولا يتركونه يلي عليهم أبداً.

فقلت: أشرك واحداً منهم واجعله بعده.

فقال: أصبت، فإن ذلك مما يسكنهم، ويجعلهم يرضونه.

ثم كتب بتوليته الخلافة لعمر بن عبد العزيز وجعلها من بعده ليزيد بن عبد الملك وأخذ رجاء البيعة على ما كتبه الخليفة دون أن يعلم أحد به ثم فاجأهم بما فى كتاب الخليفة فيما بعد، بعد أن توفى الله الخليفة، وبالفعل حصل على البيعة لعمر بن عبد العزيز، فطوبى للخليفة سليمان بن عبد الملك، فقد أبرأ ذمته أمام الله بتوليته الرجل الصالح، وهنيئا لوزير الصدق رجاء بن حيوة الذى كان نصحه لوجه الله تعالى ولصالح المسلمين.

رحم الله رجاء بن حيوة شيخ أهل الشام وكبير الدولة الذى واتته المنية سنة ١١٢هـ وكان قد روى عن معاوية وعبد الله بن عمر وجابر الأنصارى وغيرهم.

وقد قال عنه مطر الوراق: ما رأيت شاميا أفقه منه، وقال مكحول بن أبى مسلم: رجاء سيد أهل الشام فى أنفسهم.. رحم الله عالمنا الكبير الذى استضاء فكره وبصيرته بنور القرآن وهدى السنة.

* * *

(١) يقصد إخوته.

## عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -

في مصر، وفى حلوان، ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص ابن أمية القرشى الأموى التابعى العظيم وذلك سنة إحدى وستين هجرية.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وأرسله والده إلى المدينة ليحفظ السنن، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .. وقد ولى إدارة المدينة زمنا فى خلافة الوليد، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة٩٩ ﷺ .

سمع الحديث النبوى: من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم وغيرهم.

وروى عنه كثير من التابعين منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، والزهرى، ويحيى الأنصارى، وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوفا به، كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينا.

وكان ثقة، حجة، حافظا، شهد له العلماء بالحفظ والأمانة، حتى لقد كان يقرن بالزهرى فى علمه.

وقد حدث عنه على بن الحسين قال: " أخبرنى خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال: المهادى سبعة، مضى خمسة، وبقى اثنان. قال خارجة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم-.. أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا".

وحدث أبو عبيدة السرى بن يحيى بن أبى هنادين قال: سمعت قبيصة بن عقبة يقول: سمعت سفيان الثورى يقول:الخلفاء خمسة:أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم-".

ويعتبر كثير من العلماء والكتاب عمر بن عبد العزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة.. ويالها من منزلة سامية.

فالواقع[1] أن الفترة القصيرة التى قضاها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز فى خلافته، كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استضاءت

---

(١) من كتاب( عمر بن عبد العزيز) دكتور أحمد الشرباصى.

أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة –رضوان الله عليهم أجمعين–.

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدى هؤلاء الأربعة الراشدين، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذى قام به الرسول صلوات الله عليه، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلا مستقيما، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة ، فاستقام وتابع، وزاد فى الخير.

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء فى فترة عصيبة: ظهرت فيها طوائف وأحزاب، ونبتت خلالها فتن ومحن، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم... فإذا بعمر يقبل إقبال الفجر الصادق: فيرد المظالم، وينصف المظلومين، ويؤدب الخارجين، وينشر السلام والأمان والإحسان بين جميع الناس... فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء –عليه رضوان الله–.

أما عن مواقفه الرائعة فحدث ولا حرج.. فقد كانت للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، مواقفه الحاسمة فى إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها فى إدارة شئون الدولة.

ولقد كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها، وتعليمها للناس، وكان يكتب إلى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغوهم لطلب العلم.

وكان يريد ذلك حتى لا يشغلهم طلب الرزق والسعى على المعاش عن طلب العلم، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة، وحتى يتمخض طلبهم له،وحفظهم وحرصهم واستيعابهم للعلوم والأحكام والسنن، وحتى لا تضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعى، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثيرة، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الإتقان.

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتبا وشجع طلاب العلم ، ولهذا المسلك الكريم مثيله فى الأزهر الشريف الذى أجرى لطلاب العلم راتبا يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديما بـ " الجراية".

عن يحيى بن أبى كثير، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب".

وكتب إلى والى حمص يقول له: "انظر إلى القوم الذين نصَّبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابى هذا. وإن خير الخير أعجله والسلام عليك".

وكتب إلى واليه فى رسالة أخرى:" مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث..".

وكان لعمر بن عبد العزيز الفضل فى تدوين الحديث النبوى تدوينا رسميا عندما أصدر أمره إلى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه.

روى البخارى- فى باب : "كيف يقبض العلم":

"وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم:

انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا".

وكان أول من لبى أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهرى، ثم كثر التدوين بعد ذلك.

وهكذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها، وعنايته بطلاب العلم والحديث.. وهى عناية فجرت النهضة الحديثية فى مصر وفى سائر الأقطار الإسلامية.

رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان نعم العالم والخليفة العادل حتى اعتبره الكثيرون خامس الخلفاء الراشدين وجزاه الله خير الثواب على دوره فى الحفاظ على سنة نبيه ﷺ .

* * *

# سالم بن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم -

## حفيد الفاروق

ولد سالم بن عبد الله فى رحاب المدينة المنورة مثوى رسول الله ﷺ ودار هجرته.

وفى أجوائها العبقة نشأ وشب.. فى كنف أبيه العباد الزهاد عبد الله بن عمر تربى... وبأخلاقه العمرية تخلق.

وقد أبصر أبوه فى سلوكه من شمائل الإسلام، وأخلاق القرآن ما فاق إخوته... فأحبه حباً ملك عليه شغاف[١] قلبه، حتى لامه اللائمون.

وأقبل عليه يبثه ما وعاه صدره من حديث رسول الله ﷺ... ويفقهه فى دين الله... ويمليه من كتاب الله... ثم دفع به إلى الحرم الشريف.

وكان مسجد رسول الله ﷺ مازال معموراً بطائفة كبيرة من جلة الصحابة.

فحيثما ألم الفتى بركن من أركانه، ألفى أمامه نجماً فيه ألق[٢] من سنا[٣] النبوة، وعبق من طيوب الرسالة الغراء.

وأينما رمى بطرفه أو ألقى بسمعه، أبصر خيراً وسمع براً.

وبذلك أتيح له أن يأخذ عن طائفة من جلة الصحابة على رأسهم أبو أيوب الأنصارى، وأبو هريرة، وأبو رافع، وأبو لبابة، وزيد بن الخطاب.

وذلك بالإضافة إلى والده عبد الله بن عمر. فما لبث أن غدا علماً من أعلام المسلمين... وسيداً جليلاً من سادة التابعين... وأحد فقهاء المدينة الذين يفزع[٤] إليهم المسلمون فى دينهم... ويأخذون عنهم شريعة ربهم ... ويرجعون إليهم فى معضلات الدين والدنيا.

وكان الولاة يأمرون قضاتهم إذا عرضت عليهم القضايا أن يدفعوا بها إليهم.

فإذا جاءتهم المسألة اجتمعوا جميعاً ونظروا فيها، ثم لا يقضى القضاة إلا برأيهم.

---

(١) شغاف قلبه: غلاف قلبه.
(٢) ألق: نور وضياء.
(٣) من سنا النبوة: من نور النبوة.
(٤) يفزع إليهم المسلمون: يلجأ إليهم المسلمون.

وكان أسعد الولاة حظاً، وأطيبهم أحدوثة، وأقربهم إلى قلوب الناس، وأوثقهم عند الخلفاء، من يأخذ بمشورة سالم بن عبد الله ويلتزم بتوجيهه.

أما الذين يخالفون أمره، فقد كانت المدينة تنبو[١] بهم، ولا تتحمل ولايتهم.

من ذلك أن "عبد الرحمن بن الضحاك" ولى المدينة فى خلافة يزيد بن عبد الملك. وكانت فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه قد ترملت، وانقطعت إلى أولادها.

فتقدم إليها ابن الضحاك وخطبها لنفسه.

فقالت: والله ما أبغى الزواج، ولقد قعدت على بنى، ووقفت نفسى عليهم.

فجعل يلح عليها وهى تحتال فى الاعتذار إليه،من غير مخاشنة خوفاً من شره.

فلما وجدها تأباه، قال لها:

والله لئن لم ترضيننى لك زوجاً لآخذن أكبر بنيك، ولأجلدنه بتهمة شرب الخمر.

فاستشارت سالم بن عبد الله فى أمرها، فأشار عليها بأن تكتب للخليفة كتاباً تشكو فيه الوالى، وتذكر قرابتها من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورحمها[٢] فى آل البيت.

فكتبت الكتاب، وأنفذته[٣] مع رسول لها إلى "دمشق".

ما كاد الرسول يمضى بالكتاب حتى جاء أمر الخليفة إلى "ابن هرمز" عامله على ديوان المال فى المدينة بأن يقدم عليه ليرفع إليه حسابه.

فقام "ابن هرمز" يودع أصحاب الحقوق عليه، فاستأذن على فاطمة بنت الحسين مودعاً وقال:

إنى ماضٍ إلى "دمشق" فهل لك من حاجة؟.

فقالت : نعم... تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض به إلى... وأنه لا يرعى حرمة لعلماء المدينة، وخاصة سالم بن عبد الله.

---

(١) تنبو بهم: تضيق بهم ولا يجدون فيها قراراً. (٢) رحمها: صلتها. (٣) أنفذته: أوصلته.

فلام "ابن هرمز" نفسه على زيارتها، إذ ما كان يريد أن يحمل شكواها من ابن الضحاك إلى الخليفة.

وصل "ابن هرمز" إلى "دمشق" فى نفس اليوم الذى وصل فيه الرسول الذى يحمل كتاب فاطمة بنت الحسين.

فلما دخل على الخليفة، استخبره عن أحوال المدينة، وسأله عن سالم بن عبد الله وصحبه من الفقهاء، وقال له:

هل هناك أمر ذو شأن جدير بأن يعلم،أو خبر ذو خطر حرى بأن يذكر؟.

فلم يذكر له شيئا من قصة فاطمة بنت الحسين.

ولم يشر بشىء إلى موقف الوالى من سالم بن عبد الله.

وفيما هو جالس عنده يرفع له حسابه، إذ دخل الحاجب وقال:

أصلح الله الأمير... إن بالباب رسول فاطمة بنت الحسين.

فتغير وجه "ابن هرمز" وقال: أطال الله بقاء الأمير إن فاطمة بنت الحسين حملتنى رسالة إليك، وأخبره الخبر... فما أن سمع الخليفة مقالته حتى نزل عن سريره وقال:

لا أم لك... ألم أسألك عن شئون المدينة وأخبارها؟!... أيكون لديك مثل هذا الخبر وتكتمه عنى؟!!.

فاعتذر إليه بالنسيان، ثم أذن للرسول فأدخل عليه، فأخذ الكتاب منه وفضه، وجعل يقرؤه والشرر يتطاير من عينيه، وأخذ يضرب الأرض بخيزران كان فى يده وهو يقول:

لقد اجترأ ابن الضحاك على آل رسول الله ﷺ... ولم يصخ[1] لنصح سالم بن عبد الله فيهم!!! ... هل من رجل يسمعنى صوته وهو يعذب فى المدينة، وأنا على فراشى هذا فى "دمشق"؟ (يعنى صوت ابن الضحاك).

فقيل له: نعم يا أمير المؤمنين.. ليس للمدينة إلا "عبد الواحد بن بشر النضرى"... فوله إياها... وهو مقيم الآن فى "الطائف".

---

(١) لم يصخ: لم يستمع ولم يستجب.

فقال: نعم... والله نعم... إنه لها... ثم دعا بقرطاس وكتب بيده:

من أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك إلى عبد الواحد بن بشر النضرى.

السلام عليك... أما بعد... فإنى قد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابى هذا فتوجه إليها، واعزل عنها ابن الضحاك... وافرض عليه غرامة مقدارها أربعون ألف دينار... وعذبه حتى أسمع صوته من المدينة.

أخذ صاحب البريد الكتاب، ومضى يحث[١] الخطا نحو الطائف عن طريق المدينة.

فلما بلغ المدينة لم يدخل على واليها ابن الضحاك ولم يسلم عليه، فأوجس[٢] الوالى خيفة فى نفسه.

وأرسل إليه ودعاه إلى بيته، وسأله عن سبب قدومه فلم يبح له بشىء، فرفع ابن الضحاك طرف فراشه وقال:

انظر... فنظر فإذا كيس قد ملئ دنانير.

فقال: هذه ألف دينار... ولك علىّ عهد الله وميثاقه إن أنت أخبرتنى عن وجهتك وما فى يدك لأدفعنها إليك، ولأكتمن ذلك... فأخبره... فدفع إليه المال، وقال له:

تريث هنا ثلاث ليال حتى أصل إلى "دمشق"، ثم امض إلى ما أمرت به.

ومن ثم غادر ابن الضحاك المدينة، ومضى يحث المطايا نحو "دمشق".

فلما بلغها دخل على أخى الخليفة مسلمة بن عبد الملك، وكان سيداً أريحياً[٣] صاحب نجدة... فلما صار بين يديه قال له: أنا فى جوارك أيها الأمير.

فقال: أبشر بخير... وما شأنك؟!.

فقال: إن أمير المؤمنين ناقم على لهنة[٤] بدرت منى.

فغدا مسلمة على يزيد وقال: إن لى لدى أمير المؤمنين حاجة.

---

(١) يحث الخطا: يمضى مسرعاً.
(٢) أوجس خيفة: دب فيه الفزع.
(٣) أريحياً: سامى الخلق وافر المعروف.
(٤) لهنة: لزلة.

فقال يزيد: كل حاجة لك مقضية ما لم تكن فى ابن الضحاك.

فقال: والله ما جئتك إلا من أجله.

فقال: والله لا أعفيه أبداً..

ولقد جرب خلفاء بنى "أمية" أن يغدقوا على سالم الخير كما أغدقوه على غيره، فوجدوه زاهداً بما فى أيديهم... مستصغراً للدنيا وما فيها.

ففى ذات سنة قدم سليمان بن عبد الملك مكة حاجاً... فلما أخذ يطوف طواف القدوم، أبصر سالم بن عبد الله يجلس قبالة الكعبة فى خضوع... ويحرك لسانه بالقرآن في تبتل وخشوع... وعبراته تسح على خديه سحا، حتى لكأن وراء عينيه بحراً من الدموع.

فلما فرغ الخليفة من طوافه، وصلى ركعتين سنة الطواف، توجه إلى حيث يجلس سالم بن عبد الله.

فأفسح الناس له الطريق حتى أخذ مكانه بجانبه، وكاد يمس بركبته ركبته.

فلم يتنبه له سالم ولم يلتفت إليه، لأنه كان مستغرقاً بما هو فيه، مشغولاً بذكر الله عن كل شىء... وطفق[1] الخليفة يرقب سالماً بطرف خفى... ويلتمس فرصة يتوقف فيها عن التلاوة ويكف عن النحيب[2] حتى يكلمه.

فلما واتته الفرصة مال عليه، وقال:

السلام عليك يا أبا عمر ورحمة الله.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته.

فقال الخليفة بصوت خفيض:

سلنى حاجة أقضها لك يا أبا عمر.

فلم يجبه سالم بشىء.

فظن الخليفة أنه لم يسمعه، فمال عليه أكثر من ذى قبل وقال: رغبت بأن تسألنى حاجة لأقضيها لك.

---

(١) طفق: أخذ.

(٢) النحيب: شدة البكاء.

فقال سالم: والله إنى لأستحى أن أكون فى بيت الله جل وعز، ثم أسأل أحداً غيره.

فخجل الخليفة وسكت، لكنه ظل جالساً فى مكانه.. فلما قضيت الصلاة، نهض سالم يريد المضى إلى رحله.

فلحقت به جموع الناس... هذا يسأله عن حديث من أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وذاك يستفتيه فى أمر من أمور الدين... وثالث يستنصحه فى شأن من شئون الدنيا... ورابع يطلب منه الدعاء.

وكان فى جملة من لحق به خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك، فلما رآه الناس، وسعوا له حتى حاذى منكبه منكب سالم بن عبد الله ... عليه وهمس فى أذنه قائلاً:

هانحن أولاء قد غدونا خارج المسجد، فسلنى حاجة أقضيها لك، فقال سالم:

من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟.

فارتبك الخليفة وقال: بل من حوائج الدنيا.

فقال له سالم:

إننى لم أطلب حوائج الدنيا ممن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها؟.

فخجل الخليفة منه وحياه، وانصرف عنه وهو يقول:

ما أعزكم آل الخطاب بالزهادة والتقى؟... وما أغناكم بالله جل وعز!!... بارك الله عليكم من آل بيت.

وكما أشبه سالم جده الفاروق فى الإعراض عن الدنيا والزهادة بعرضها الفانى، فقد أشبهه أيضاً فى الجهر بكلمة الحق مهما كانت ثقيلة الوطأة شديدة التبعات..من ذلك أنه دخل على الحجاج ذات مرة فى حاجة من حوائج المسلمين.

فرحب به الحجاج وأدنى[١] مجلسه وبالغ فى إكرامه... وفيما هما كذلك، إذ أتى الحجاج بطائفة من الرجال، شعث[٢] الشعور، غبر الأجسام، صفر الوجوه، مقرنين[٣] فى الأصفاد.

فالتفت الحجاج إلى سالم وقال:

هؤلاء بغاة مفسدون فى الأرض، مستبيحون لما حرم الله من الدماء. ثم أعطاه سيفه، وأشار إلى أولهم وقال:

عليك به... فقم إليه واضرب عنقه... فأخذ سالم السيف من يد الحجاج، ومضى نحو الرجل... وقد شخصت[٤] أبصار القوم نحوه تنظر ماذا يفعل؟!.

فلما وقف على الرجل قال له:

أمسلم أنت؟.

فقال: نعم... ولكن ما أنت وهذا السؤال؟... امض لإنفاذ ما أمرت به.

فقال له سالم: وهل صليت الصبح؟.

فقال الرجل: قلت لك إنى مسلم، ثم تسألنى: إن كنت صليت الصبح!!.. وهل تظن أن هناك مسلماً لا يصلى؟.

فقال سالم: أسألك أصليت صبح هذا اليوم؟.

فقال الرجل: هداك الله، قلت لك نعم... وسألتك أن تنفذ ما أمرك به هذا الظالم، وإلا عرضت نفسك لسخطه.

فرجع سالم إلى الحجاج، ورمى السيف بين يديه وقال:

إن الرجل يقر بأنه مسلم، ويقول: إنه صلى صبح هذا اليوم، وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: ( من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله).

وإنى لا أقتل رجلاً دخل فى ذمة الله عز وجل.

فقال له الحجاج مغضباً:

---

(١) أدنى مجلسه: قرب مجلسه منه توقيراً له وإكراماً.
(٢) شعث الشعور: متلبدى الشعور.
(٣) مقرنين فى الأصفاد: مقيدين بالحديد.
(٤) شخصت: نظرت.

إننا لا نقتله على ترك صلاة الصبح... وإنما نقتله لأنه ممن أعان على قتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

فقال له سالم: إن فى الناس من هو أولى منى ومنك بدم عثمان.

فسكت الحجاج، ولم يحر[١] جواباً.

ثم إن أحد شهود المجلس قدم على المدينة وأخبر عبد الله بن عمر بما طلبه الحجاج من ابنه سالم.

فلم يتريث[٢] حتى يسمع بقية الخبر... وإنما بادر[٣] محدثه قائلاً: وما صنع سالم بأمر الحجاج؟.

فقال له: صنع كذا وكذا.

فسرى[٤] عنه، وقال: كيس كيس[٥]... عاقل عاقل.

ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز[٦] كتب إلى سالم بن عبد الله يقول:

أما بعد... فإن الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من ولاية أمر المسلمين عن غير مشورة منى ولا طلب.

فأسأل الله الذى ابتلانى بهذا الأمر أن يعيننى عليه.

فإذا جاءك كتابى هذا،فابعث لى بكتب عمر بن الخطاب، وأقضيته، وسيرته... فإنى عازم على أن أتبع سيرته... وأسير على نهجه إن أعاننى الله على ذلك... والسلام.

فكتب إليه سالم يقول:

أما بعد... فقد جاءنى كتابك الذى تذكر فيه أن الله عز وجل ابتلاك بإمرة المسلمين من غير طلب منك ولا مشورة... وأنك تريد أن تسير بسيرة عمر... فلا يفتك أنك فى زمان غير زمان عمر... وأنه ليس فى رجالك من يماثل رجال عمر.

---

(١) لم يحر جواباً: لم يرد جواباً.
(٢) لم يتريث: لم ينتظر.
(٣) بادر: عاجل.
(٤) سرى عنه: زال عنه الهم والقلق.
(٥) كيس كيس: حسن حسن.
(٦) عمر بن عبد العزيز: انظره ص ٨٠، ٢٥٥، ٣٢٦.

ولكن اعلم أنك إن نويت الحق وأردته، أعانك الله عليه، وأتاح لك عمالاً يقومون لك به.. وأتاك بهم من حيث لا تحتسب.. فإن عون الله للعبد على قدر نيته.. فمن تمت نيته فى الخير تم عون الله له، ومن قصرت نيته نقص من عون الله له بقدر نقص نيته.

وإذا نازعتك نفسك إلى شيء مما لا يرضى الله عز وجل، فاذكر من كان قبلك من ذوى السلطان الذين سبقوك إلى الرحيل عن هذه الدنيا... وسل نفسك كيف تفقأت[١] عيونهم التى كانوا يشهدون بها اللذات، وكيف تمزقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون بها من الشهوات.

وكيف صاروا جيفاً لو تركت إلى جانب مساكننا ولم توارها آكام[٢] الأرض، لضججنا من ريحها.. ولمسنا الضر من نتنها. والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد... فقد عاش سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عمراً مديداً حافلاً بالتقى... عامراً بالهدى... أعرض فيه عن زينة الدنيا وزخرفها... وأقبل خلاله على ما يرضى الله... فأكل من الطعام ما غلظ... ولبس من الثياب ما خشن... وغزا "الروم" مع جيوش المسلمين جندياً... وقضى حوائج المسلمين، وحنا[٣] عليهم حنو الأمهات... فلما أتاه اليقين[٤] سنة ست ومائة للهجرة، ارتجت المدينة حزناً عليه.

وترك نعيه فى كل قلب لوعة... وعلى كل خد دمعة... وهب الناس، كل الناس يشيعون جنازته، ويشهدون دفنه... وكان هشام بن عبد الملك يومئذ موجوداً فى المدينة، فخرج للصلاة عليه وتشييعه.

فلما رأى تزاحم الناس وتدفقهم، هالته كثرتهم، وأثارت فى صدره شيئا من الحسد، فساءل نفسه قائلاً:

ترى كم يخرج من هؤلاء الناس لو أن خليفة المسلمين مات فى بلدهم هذا؟.

---

(١) تفقأت: قلعت.
(٢) الآكام: المرتفعات.
(٣) حنا عليهم: مال إليهم وعطف عليهم.
(٤) اليقين: الموت.

ثم قال "لإبراهيم بن هشام المخزومى" واليه على المدينة: افرض على أهل المدينة أن يبعثوا أربعة آلاف رجل إلى الثغور.

فسمى ذلك العام عام الأربعة الآلاف.

رحم الله سالم بن عبد الله فقد كان نعم الفقيه والمحدث وقد قال عنه الإمام مالك:" لم يكن أحد فى زمان سالم بن عبد الله أشبه منه بمن مضى من الصالحين فى الزهد، والفضل، والعيش".

* * *

## القاسم بن محمد بن أبى بكر - رضى الله عنهم -

ولد القاسم بن محمد فى أواخر خلافة عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه- .. لكن الطفل الصغير ما كاد يمشى بين أقرانه ، حتى هبت فى ديار المسلمين ريح الفتنة العاصفة... فاستشهد الخليفة العباد الزهاد ذو النورين عثمان ابن عفان ﷺ وهو منحن بصلبه[١] على أجزاء القرآن.

ونشب الخلاف الكبير بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان أمير بلاد الشام... وفى سلسلة مفزعة مذهلة من الأحداث المتلاحقة... وجد الطفل الصغير نفسه يحمل مع أخته من المدينة إلى "مصر"... فقد كان عليهما أن يلحقا بأبيهما، بعد أن غدا والياً عليها من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

ثم رأى أظافر الفتنة الحمر تمتد إلى أبيه، فتقتله شر قتلة.

ثم ألفى[٢] نفسه ينقل مرة أخرى من "مصر" إلى المدينة، بعد أن استولى عليها أنصار معاوية... وقد أصبح يتيماً لطيماً بلا أبوين.

حدث القاسم نفسه عن رحلة العذاب هذه وما تلاها، فقال:

لما قتل أبى بمصر جاء عمى عبد الرحمن بن أبى بكر، فاحتملنى أنا وأختى الصغيرة... ومضى بنا إلى المدينة.

---

(١) صلبه: عظم ظهره.

(٢) ألفى نفسه: وجد نفسه.

فما أن بلغناها حتى بعثت إلينا عمتى عائشة رضى الله عنها، فحملتنا من منزل عمى إلى بيتها.. وربتنا فى حجرها.(١)

فما رأيت والدة قط ولا والداً أكثر منها براً... ولا أوفر(٢) شفقة... كانت تطعمنا بيديها، ولا تأكل معنا... فإذا بقى من طعامنا شىء أكلته.

وكانت تحنو علينا حنو المرضعات على الفطيم(٣)، فتغسل أجسادنا... وتمشط شعورنا... وتلبسنا الأبيض الناصع من الثياب.

وكانت لا تفتأ تحضنا على الخير، وتمرسنا(٤) بفعله... وتنهانا عن الشر، وتحملنا على تركه.

وقد دأبت على تلقيننا ما نطيقه من كتاب الله... وترويتنا(٥) ما نعقله من حديث رسول الله ﷺ.

وكانت تزيدنا براً وإتحافاً(٦) فى العيدين... فإذا كانت عشية "عرفة" حلقت لى شعرى... وغسلتنى أنا وأختى... فإذا أصبحنا ألبستنا الجديد... وبعثت بنا إلى المسجد لنؤدى صلاة العيد.

فإذا عدنا منه جمعتنى أنا وأختى وضحت بين أيدينا.

وفى ذات يوم ألبستنا ثياباً بيضاً، ثم أجلستنى على إحدى ركبتيها... وأجلست أختى على ركبتها الأخرى.

وكانت قد دعت عمى عبد الرحمن... فلما دخل عليها حيته، ثم تكلمت: فحمدت الله جل وعز، وأثنت عليه بما هو أهله.(٧)

فما رأيت متكلماً قط من رجل أو مرأة قبلها ولابعدها، أفصح منها لساناً... ولا أعذب(٨) بياناً... ثم قالت: أى أخى(٩)... إنى لم أزل أراك معرضاً(١٠) عنى منذ أخذت هذين الصبيين منك، وضممتهما إلى... ووالله ما فعلت ذلك تطاولاً(١١)

---

(١) الحجر: الحضن، وفى حجرها: فى كنفها ورعايتها.
(٢) أوفر شفقة: أكثر حناناً.
(٣) الفطيم: الصغير المفطوم عن الرضاع.
(٤) تمرسنا: تدربنا.
(٥) ترويتنا: جعلنا نروى الحديث.
(٦) إتحافاً: إهداء.
(٧) بما هو أهله: بما يليق بذاته.
(٨) أعذب بياناً: أحلى كلاماً وأبلغ قولاً.
(٩) أى أخى: يا أخى.
(١٠) معرضاً عنى: مباعداً لى.
(١١) تطاولاً عليك: اعتلاء عليك.

عليك... ولا سوء ظن بك... ولا اتهاماً لك بالتقصير فى حقهما... ولكنك رجل ذو نساء[١]... وهما صبيان صغيران لايقومان بأمر[٢] نفسيهما.

فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرنه[٣]، فلا يطبن بهما نفساً.

ووجدت أنى أحق منهن بالقيام على أمرهما فى هذه الحال ... وهاهما الآن قد شبا، وأصبحا قادرين على القيام بأمر نفسيهما... فخذهما وضمهما إليك.

فأخذنا عمى عبد الرحمن، وضمنا إلى بيته.

بيد أن الغلام "البكرى" ظل معلق القلب ببيت عمته أم المؤمنين – رضوان الله عليها– .. فعلى أرض بيتها المعطرة بطيوب النبوة تربى... وفى رحاب صاحبته تربى وترعرع... ومن حنانها المتدفق نهل[٤] وارتوى.. فصار يوزع وقته بين بيتها وبيت عمه.

ولما شب الفتى "البكرى" كان قد حفظ كتاب الله عز وجل... وأخذ عن عمته عائشة من حديث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يأخذ.

ثم أقبل على الحرم النبوى الشريف، وانقطع إلى حلقات العلم التى كانت تنتشر فى كل ركن من أركانه.

فروى عن أبى هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن الزبير... وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن خباب، ورافع بن خديج، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، وغيرهم الكثيرون... حتى غدا إماماً مجتهداً... وأصبح من أعلم أهل زمانه بالسنة.

وكان الرجل لا يعد رجلاً عندهم حتى يتقن السنة.

ولما اكتملت للشاب البكرى أدوات المعرفة، أقبل الناس عليه يلتمسون عنده العلم بشغف[٥]... وأقبل هو عليهم يبذله لهم بسخاء.

فكان يأتى مسجد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه غداة كل يوم فى موعد

---

(١) ذو نساء: متعدد الزوجات.
(٢) بأمر نفسيهما: بخدمة ذاتيهما.
(٣) ما يتقذرنه: ما لا يتحملنه من أوساخهما.
(٤) نهل: استقى.
(٥) بشغف: بشوق ورغبة.

لايخلفه... فيصلى ركعتين يحيى بهما المسجد... ثم يأخذ مكانه أمام خوخة[١] عمر فى الروضة الغراء بين قبر النبى صلوات الله وسلامه عليه وبين منبره.

فيجتمع عليه طلاب العلم من كل مكان... وينهلون من موارده العذبة المصفاة ما يملأ النفوس العطشى رياً.

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح القاسم بن محمد وابن خالته سالم بن عبد الله بن عمر إمامى المدينة الموثوقين[٢]... وسيديها المطاعين، ورجليها النافذين[٣]... على الرغم من أنه لم تكن فى أيديهما ولاية ولا سلطان.

فقد سودهما[٤] الناس لما كانا يتحليان به من التقى والورع... وما يحملانه فى صدريهما من العلم والفقه... وما يزدانان به من الزهادة بما فى أيدى الناس، والرغبة بما عند الله عز وجل.

وقد بلغ من مكانتهما فى النفوس أن خلفاء بنى "أمية" وولاتهم كانوا لايقطعون أمراً ذا بال[٥] فى شأن من شئون المدينة إلا برأييهما.

من ذلك أن الوليد بن عبد الملك قد عقد العزم على توسعة الحرم النبوى الشريف.

ولم يكن فى وسعه أن يحقق هذه الأمنية الغالية إلا إذا هدم المسجد القديم من جهاته الأربع... وأزال بيوت زوجات النبى صلوات الله وسلامه عليه، وضمها إلى المسجد.

وهى أمور تشق[٦] على الناس... ولا تطيب[٧] نفوسهم بها... فكتب إلى عمر ابن عبد العزيز واليه على المدينة يقول:

لقد رأيت أن أوسع مسجد رسول الله ﷺ حتى يصبح مائتى ذراع فى مائتى ذراع.

فاهدم جدرانه الأربعة، وأدخل فيه حجر[٨] زوجات النبى ﷺ.. واشتر ما فى نواحيه من البيوت... وقدم القبلة إن قدرت.

---

(١) الخوخة: نافذة صغيرة فى البيت تؤدى إليه الضوء، وهى الباب الصغير فى الباب الكبير.
(٢) الموثوقين: الذين يثق بهما الناس.
(٣) النافذين: المسموعى الكلمة.
(٤) سودهما الناس: أمرهما الناس عليهم.
(٥) ذا بال: ذا شأن.
(٦) تشق على الناس: تصعب عليهم.
(٧) لا تطيب نفوسهم بها: لا يسرون بها، ولا يرتاحون إليها.
(٨) حجر: غرف.

وإنك تستطيع ذلك لمكان[١] أخوالك آل الخطاب، ومنزلتهم فى قلوب الناس.

فإذا أبى عليك أهل المدينة ذلك، فاستعن بالقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ابن عمر، وأشركهما معك فى الأمر.. وادفع إلى الناس أثمان بيوتهم بسخاء.. وإن لك فى ذلك سلفى صدق.. هما عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان.

فدعا عمر بن عبد العزيز القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وطائفة من وجوه أهل المدينة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين... فسروا بما عزم عليه الخليفة، وهبوا لإنفاذه[٢].

فلما رأى الناس عالمى المدينة وإماميها الكبيرين، يباشران هدم المسجد بأيديهما، قاموا معهما قومة رجل واحد.. وأنفذوا ما جاء فى كتاب أمير المؤمنين... وكانت جيوش المسلمين المظفرة تدق آنئذ أبواب الحصون المفضية[٣] إلى مدينة "القسطنطينية".

وتستولى عليها واحداً بعد الآخر بقيادة الأمير الباسل مسلمة بن عبد الملك ابن مروان[٤]... وذلك تمهيداً لفتح "القسطنطينية" نفسها.

فلما علم ملك "الروم" بعزم أمير المؤمنين على توسعة المسجد النبوى الشريف، أحب أن يصانعه[٥]، ويتقرب إليه بما يسره... فبعث إليه بمائة ألف مثقال من الذهب.. وأرسل معها مائة عامل من أمهر البنائين فى بلاد "الروم".. وزود العمال بأربعين حملاً من الفسيفساء[٦].. فأرسل الوليد ذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز ، ليستعين به على بناء المسجد.. فأنفقه عمر بمشورة القاسم بن محمد وصاحبه.

ولقد كان القاسم بن محمد أشد الناس تأسياً[٧] بجده الصديق رضوان الله عليه، حتى قال الناس:

---

(١) لمكان أخوالك: لمقامهم ومنزلتهم.
(٢) هبوا لإنفاذه: انطلقوا للقيام به.
(٣) المفضية: الموصلة.
(٤) هو أحد كبار قادة المسلمين، غزا بلاد أرمينيا كما غزا بلاد الروم حتى بلغ خليج القسطنطينية.
(٥) يصانعه: يداريه ويداهنه.
(٦) الفسيفساء: قطع صغيرة من الرخام زاهية الألوان يؤلف بعضها مع بعض فى أشكال رائعة بديعة، وتزين بها جدران القصور.
(٧) تأسياً بفلان: تشبهاً به، وجرياً على منهجه.

لم يلد أبو بكر ولداً أشبه به من هذا الفتى.

فلقد أشبهه فى كرم شمائله[١]، ونبل خصائله[٢].. وصلابة إيمانه، وشدة ورعه.. وسماحة نفسه، وسخاء يده.. وقد أثر عنه كثير من الأقوال والأفعال تشهد له بهذا.

وقد عمر القاسم بن محمد حتى زاد على الثانية والسبعين.. لكنه كف بصره وهو شيخ كبير.

وفى آخر سنة من حياته، قصد مكة يريد الحج... وفيما هو فى بعض طريقه أتاه اليقين[٣].. فلما أحس بالأجل[٤] التفت إلى ابنه وقال:

إذا أنا مت، فكفنى بثيابى التى كنت أصلى فيها:

قميصى... وإزارى... ورداءى... فذلك كان كفن جدك أبى بكر.

ثم سو على لحدى. والحق بأهلك.

وإياكم أن تقفوا على قبرى، وتقولوا: كان... وكان... فما كنت شيئاً.

رحم الله القاسم بن محمد هذا العالم الفذ المتواضع الذى لم تغره الدنيا وتركها وهو راض رافضا أن يشيد أحد بمآثره.

* * *

(١) كرم شمائله: سمو أخلاقه.
(٢) نبل خصائله: رفعة صفاته.
(٣) اليقين: الانتقال إلى الآخرة.
(٤) الأجل: الوفاة.

## زيـن العابديـــن - رضى الله عنه -

زين العابدين هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما رابع الخلفاء الراشدين وابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته وقرة عينه فاطمة.

وقد لقب بـــ " زين العابدين" لورعه وتقاه واتقانه لشعائره.. وهذا اللقب دعاه به الناس حتى نسى قومه اسمه أو كادوا وآثروا لقبه هذا عليه.

وما كاد على بن الحسين يبلغ سن التمييز، حتى أقبل على طلب العلم بشـــغف وشوق... وكانت مدرسته الأولى بيته، وما أكرمه من بيت.

وكان معلمه الأول والده الحسين بن على، وما أعظمه مـــن معلـــم أيضـــــاً. أما مدرسته الثانية، فمسجد الرسول الأعظم ﷺ .

وكان المسجد النبوى الشريف – يومئذ- يموج بالبقية الباقيـــة مـــن صـــحابة الرسول الكريم، ويزخر بالطبقة الأولى من كبار التابعين.

وكان هؤلاء وهؤلاء، يفتحون قلوبهم لهذه الزهور المزدهرة من أبناء الصحابة الكرام، فيقرئونهم كتاب الله عز وجل.. ويفقهونهم فيه.

ويروون لهم حديث رسول الله ﷺ.. ويقفونهم على مراميه.. ويقصون علـــيهم سيرة الرسول الأعظم ﷺ ومغازيه.. وينشدونهم شـــعر العـــرب، ويبصـــرونهم بمواطن جماله.. ويملأون قلوبهم الغضة بحب الله عز وجل، وخشيته، وتقـــواه.. فإذا هم علماء عاملون، وهداة مهديون.

لكن على بن الحسين لم يتعلق قلبه بشىء كما تعلق بكتاب الله عز وجل.. ولم تهتز مشاعره لأمر كما كانت تهتز لوعده ووعيده .. فإذا قرأ آيـــة فيهـــا ذكـــر الجنة، طار فؤاده شوقاً إليها.. وإذا سمع آية فيها ذكر النار، زفر زفرة كأن لهيب جهنم فى أحشائه.

وما إن اكتمل على بن الحسين شباباً وعلماً، حتى ظفر المجتمع المدنى الأمثل بفتى من أعمق فتيان بنى "هاشم" عبادة وتقى.. وأعظمهم فضلاً وخلقاً.. وأكثرهم إحساناً وبراً.. وأوسعهم معرفة وعلماً.

فلقد بلغ من عبادته وتقواه، أنه كانت تأخذه رعدة بين وضوئه وصلاته، فينتفض جسده نفضاً.

فلما كلم فى ذلك قال: ويحكم!!.. كأنكم لا تدرون إلى من أقوم.. ولاتعلمون من أريد أن أناجى.

وقد بلغ من إطالته لسجوده، واستغراقه فيه أن ناداه أهل المدينة بالسجاد[١].. وقد بلغ من صفاء نفسه ونقاء قلبه أن نعتوه بالزكى[٢].

وكان زين العابدين رضوان الله عليه يوقن أن أساس العبادة الدعاء.. وكان يطيب له الدعاء أكثر ما يطيب وهو متعلق بأستار الكعبة.

فلكم التزم البيت العتيق، وجعل يقول:

رب لقد أذقتنى من رحمتك ما أذقتنى.. وأوليتنى من إنعامك ما أوليتنى.. فصرت أدعوك آمناً من غير وجل.. وأسألك مستأنساً من غير خوف.. رب إنى أتوسل إليك توسل من اشتدت فاقته إلى رحمتك.. وضعفت قوته عن أداء حقوقك.. فاقبل منى دعاء الغريق الغريب الذى لا يجد لإنقاذه إلا أنت يا أكرم الأكرمين.

ولقد أفاضت التقوى على زين العابدين ما شاء الله أن تفيض من شمائل الفضل، والنبل، والحلم.. حتى ازدانت كتب السير بروائع أخباره، وزهت صفحاتها بنبيل مواقفه.

ولقد وسع[٣] الله عز وجل على زين العابدين، وأفاض[٤] عليه الرزق فيضاً... فكانت له تجارة رابحة... وزراعة نامية... وكان ينهض بهما غلمانه.

وكانت زراعته وتجارته تدران عليه الخير الوفير، والمال الكثير.. لكن زين العابدين لم يغره الغنى.. ولم تبطره النعمة.. وإنما جعل مال الدنيا مطية للفوز فى الآخرة.

فكان ثراؤه نعم الثراء الصالح للعبد الصالح.

---

(١) السجاد: المغرق فى السجود، المطيل له.
(٢) الزكى: النقى الخالص من الذنوب.
(٣) وسع الله عليه: أغدق عليه المال.
(٤) أفاض: أكثر.

وكان أكثر ما حبب إليه من أعمال البر صدقة السر.

فكان إذا جن[١] الليل يحمل أكياس الدقيق على ظهره الناحل[٢]، ويخرج بها في عتمات الليل والناس نيام.. وكان يجوب بها أحياء المدينة ليتصدق على ذوى الحاجات ممن لا يسألون الناس إلحافاً.[٣]

فكانت جماعات كثيرة من أهل المدينة تعيش وهى لا تدرى من أين يأتيها رزقها رغداً.[٤]

فلما مات على بن الحسين،فقد هؤلاء ما كان يأتيهم من رزق،فعرفوا مصدره.

ولما وضع زين العابدين على المغتسل، نظر غاسلوه.. فوجدوا فى ظهره آثار سواد، فقالوا: ما هذا؟.

فقيل لهم: إنه من آثار حمل أكياس الدقيق إلى مائة بيت فى المدينة فقدت عائلها بفقده.

أما أخبار عتق على بن الحسين للأرقاء فقد شرقت بها الركبان[٥] وغربت.. لأن صنيعه هذا فاق خيال المتخيلين.. وجاوز تطلع المتطلعين[٦].

فكان يعتق العبد إذا أحسن، مكافأة له على إحسانه.. وكان يعتق العبد إذا أساء وتاب، جزاء له على توبته.. حتى روى الراوون أنه أعتق ألف عبد.. وأنه لم يستخدم أحداً من غلمانه وإمائه أكثر من عام واحد.

وكان عتقه لعبيده يقع أكثر ما يقع ليلة عيد الفطر... حيث كان يحرر فى تلك الليلة المباركة ما يقدره الله على تحريره من رقاب الأرقاء.

ويسألهم أن يتوجهوا إلى القبلة، وأن يقولوا: اللهم اغفر لعلى بن الحسين.. ثم يزودهم بما يجعل عيدهم عيدين، وفرحتهم فرحتين.

ولقد حل على بن الحسين من قلوب الناس منزلة لم يزد عليها عصره .. فلقد أحبه الناس أصدق ما يكون الحب.. وأجلوه أعظم ما يكون الإجلال .. وتعلقوا به

---

(١) جن الليل: أظلم الليل.
(٢) الناحل: الضعيف الهزيل.
(٣) ألحافاً: إلحاحاً.
(٤) رغداً طيباً واسعاً.
(٥) الركبان: المسافرون المتنقلون فى البلاد.
(٦) المتطلعين: العارفين.

أشد ما يكون التعلق.. واشتاقوا إلى رؤيته أعمق ما يكون الشوق.. فكانوا يترقبونه لينعموا برؤياه خارجاً من البيت أو داخلاً إليه.. أو غادياً إلى المسجد أو رائحاً منه.

رضى الله عن سبط رسول الله وأرضاه.. فقد كان صورة فذة للذى يخشى الله فى السر والعلن.. ويضنى النفس خوفاً من عقاب الله.. وطمعاً فى ثوابه.

* * *

## ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ - رضى الله عنه -
## الشهير بـ "ربيعة الرأى"

هو ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروح.. ولد ربيعة أثناء غياب والده فى الجهاد رغبة منه فى الاستشهاد إعزازاً لدينه وتحقيق النصر تحت راية من رايات المسلمين المنتشرة تحت كل نجم.

وقد ترك عبد الرحمن ﷺ لزوجته وجنينها ثلاثين ألف دينار جمعها من غنائم الحرب، وحثها على صونها واستثمارها وأن تنفق منها على نفسها ووليدها وتركها غير عابئ بمصيره.

وقد وضعت السيدة الرزان[١] حملها بعد رحيل زوجها ببضعة أشهر، وكان غلاما مشرق الوجه، حلو القسمات، رائع المجتلى[٢].

ففرحت به فرحاً عظيماً كاد ينسيها فراق أبيه.. وأطلقت عليه اسم "ربيعة".

بدت على الغلام الصغير علامات النجابة منذ نعومة أظفاره.. وظهرت أمارات[٣] الذكاء فى أفعاله وأقواله.

فأسلمته أمه إلى المعلمين، وأوصتهم بأن يحسنوا تعليمه.. واستدعت له المؤدبين وحضتهم على أن يحكموا تأديبه.

فما لبث كثيراً حتى أتقن الكتابة والقراءة.. ثم حفظ كتاب الله جل وعز، وجعل يرتله ندياً طرياً كما أنزل على فؤاد محمد صلوات الله وسلامه عليه..

---

(١) المرأة الرزان: المرأة الرصينة الرزينة.
(٢) رائع المجتلى: يروع عين رائيه.
(٣) الأمارات: الدلائل والعلامات.

ووعى ما تيسر له من حديث رسول الله ﷺ.. واستظهر من كلام العرب ما يحسن بمثله أن يستظهر.. وعرف من أمور الدين ما ينبغى أن يعرف.

وقد أغدقت[١] أم ربيعة على معلمى ولدها ومؤدبيه المال والجوائز إغداقاً.

فكانت كلما رأته يزداد علماً، تزيدهم براً وإكراماً.. وكانت تترقب عودة أبيه الغائب، وتجتهد فى أن تجعله قرة[٢] عين لها وله.

لكن "قروحاً" طالت غيبته.

ثم تضاربت الأقوال فيه.

فقال بعضهم: إنه وقع أسيراً فى أيدى الأعداء.

وقال آخرون: إنه مازال طليقاً يواصل الجهاد.

وقال فريق ثالث عائد من ساحات القتال: إنه نال الشهادة التى تمناها.

فترجح هذا القول الأخير عند أم ربيعة لانقطاع أخباره، فحزنت عليه حزناً أمض[٣] فؤادها.

ثم احتسبته عند الله[٤].

كان ربيعة يومئذ قد أيفع وكاد يدخل فى مداخل الشباب فقال الناصحون لأمه:

هاهو ذا ربيعة قد استكمل ما ينبغى لفتى مثله أن يستكمله من القراءة والكتابة.. وزاد على أقرانه فحفظ القرآن وروى الحديث.

فلو تخيرت له حرفة من الحرف، فإنه لا يلبث أن يتقنها، وينفق عليك وعلى نفسه مما تدره من خير، فقالت:

أسأل الله أن يخير[٥] له ما فيه صلاح معاشه ومعاده[٦] .. إن ربيعة قد اختار لنفسه العلم.. وعزم على أن يعيش متعلماً ومعلماً ما امتدت به الحياة.

مضى ربيعة فى الطريق التى اختطها لنفسه غير وان ولا مقصر.

---

(١) أغدقت: أكثرت وأجزلت.
(٢) قرة عين: مبعث فرح وسرور.
(٣) أمض فؤادها: أحزنه وأوجعه.
(٤) احتسبته عند الله: طلبت أجرها عليه من الله.
(٥) يخير له: يختار له.
(٦) معاشه ومعاده: أى معاشه فى الدنيا، ومعاده فى الآخرة.

openkandil.com

وأقبل على حلقات العلم التي كان يزخر[١] بها مسجد المدينة كما يقبل الظماء[٢] على الموارد العذاب[٣].

ولزم البقية الباقية من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم أنس بن مالك[٤] خادم رسول الله ﷺ.. وأخذ عن الرعيل الأول[٥] من التابعين وفى مقدمتهم:

سعيد بن المسيب[٦]، ومكحول الشامى، وسلمة بن دينار[٧].. وواصل كلال[٨] ليله بكلال نهاره حتى أنهكه الجهد.

فإذا كلمه أحد فى ذلك ودعاه إلى الرفق بنفسه، قال:

سمعنا أشياخنا يقولون:

"إن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته نفسك كلها".. ثم ما لبث[٩] كثيراً حتى ارتفع ذكره، وبزغ نجمه، وكثر إخوانه. وأولع به تلاميذه، وسوده[١٠] قومه.

ولقد سارت حياة عالم المدينة هادئة وادعة.. فشطر من يومه فى داره لأهله وإخوانه..

وآخر فى مسجد رسول الله ﷺ لمجالس العلم وحلقاته.. ولقد مضت حياته متشابهة حتى وقع فيها ما لم يكن فى الحسبان.. فقد عاد والد ربيعة بعد ما يقرب من ثلث قرن من الزمان للبحث عنهما، وبعد أن توصل لهما واحتفوا ببعضهما البعض بدأ يسأل زوجته عما تركه لها من مال حتى يضم له ما معه من مال فقالت له إنها قد وضعته حيث يجب أن يوضع ثم سمع صوت المؤذن فخرج للمسجد الذى سبقه إليه ربيعة، وحيثما أنهى صلاته وهم بمغادرته وجد باحته قد غصت على رحبها بمجلس من مجالس العلم لم يشهد له نظيراً من قبل.

ورأى الناس قد تحلقوا حول شيخ المجلس حلقة إثر حلقة، حتى لم يتركوا فى الساحة موطئاً لقدم.

---

(١) يزخر بها: يموج بها. (٢) الظماء: العطاش. (٣) العذاب: العذبة الحلوة.
(٤) أنس بن مالك الأنصارى: كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
(٥) الرعيل الأول: الفريق المتقدم. (٦) سعيد بن المسيب: انظره ص ١٩٧.
(٧) سلمة بن دينار: انظره ص ١٨٥. (٨) الكلال: التعب والنصب.
(٩) ما لبث: ما أبطأ. (١٠) سوده قومه: جعلوه سيداً عليهم.

وأجال بصره فى الناس، فإذا فيهم شيوخ معممون ذوو أسنان[١].. ورجال متوقرون[٢] تدل هيئاتهم على أنهم ذوو أقدار[٣].

وشبان كثيرون قد جثوا على ركبهم، وأخذوا أقلامهم بأيديهم، وجعلوا يلتقطون ما يقوله الشيخ كما تلتقط الدرر.. ويحفظونه فى دفاترهم كما تحفظ الأعلاق[٤] النفيسة.

وكان الناس متجهين بأبصارهم إلى حيث يجلس الشيخ، منصتين إلى كل ما يلفظ من قول حتى لكأن على رؤوسهم الطير.

وكان المبلغون ينقلون ما يقوله الشيخ فقرة فقرة، فلا يفوت أحداً شىء من كلامه مهما كان بعيداً.

وحاول "فروخ" أن يتبين صورة الشيخ.. فلم يفلح لموقعه منه، وبعده عنه.

لقد راعه منه بيانه المشرق، وعلمه المتدفق، وحافظته العجيبة.

وأدهشه خضوع الناس بين يديه.

وما هو إلا قليل حتى ختم الشيخ مجلسه ونهض واقفاً.

فهب الناس متجهين نحوه، وتزاحموا عليه، وأحاطوا به، واندفعوا وراءه يشيعونه[٥] إلى خارج المسجد.

وهنا التفت "فروخ" إلى رجل كان يجلس بجانبه وقال:

قل لى – بربك– من الشيخ؟!.

فقال الرجل باستغراب: أولست من أهل المدينة؟.

فقال "فروخ": بلى.

فقال الرجل: وهل فى المدينة رجل واحد لا يعرف الشيخ؟!.

فقال "فروخ": اعذرنى إذا كنت لا أعرفه.

فلقد أمضيت نحواً من ثلاثين عاماً بعيداً عن المدينة، ولم أعد إليها إلا أمس..

فقال الرجل:

---

(١) ذوو أسنان: ذوو أعمار ، أى كبار السن.
(٢) متوقرون: مظهرون الوقار.
(٣) ذوو أقدار: لهم منزلة وشأن.
(٤) الأعلاق: النفائس التى تقتنى.
(٥) يشيعونه: يودعونه.

لا بأس.. اجلس إلىَّ قليلاً أحدثك عن الشيخ.

ثم قال: إن الشيخ الذى استمعت إليه سيد من سادات التابعين، وعلم من أعلام المسلمين.

وهو محدث المدينة، وفقيهها، وإمامها على الرغم من حداثة سنه.

فقال "فروخ": ما شاء الله، لا قوة إلا بالله ..

فأتبع الرجل يقول: وإن مجلسه يضم – كما رأيت– مالك بن أنس، وأبا حنيفة النعمان، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وسفيان الثورى، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، والليث بن سعد، وغيرهم وغيرهم.

فقال "فروخ": غير أنك..

فلم يتح له الرجل فرصة لإتمام كلامه، وأردف[1] يقول: وهو فوق ذلك كله سيد كريم الشمائل، موطأ الأكناف، سخى اليد.

فما عرف أهل المدينة أحداً أوفر منه جوداً لصديق وابن صديق.. ولا أزهد منه فى متاع الدنيا، ولا أرغب منه بما عند الله.

فقال "فروخ": ولكنك لم تذكر لى اسمه.

فقال الرجل: إنه ربيعة الرأى.

فقال "فروخ": ربيعة الرأى!!.

نعم، إن اسمه ربيعة..

لكن علماء المدينة وشيوخها دعوه ربيعة الرأى لأنهم كانوا إذا لم يجدوا لقضية نصاً فى كتاب الله أو حديث رسول الله ﷺ لجؤوا إليه.. فيجتهد فى الأمر.. ويقيس مالم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص.. ويأتيهم بالحكم فيما أشكل عليهم على وجه تركن[2] إليه النفوس وتطمئن له القلوب.

فقال "فروخ" فى لهفة: ولكنك لم تنسبه لى.

فقال الرجل: إنه "ربيعة بن فروخ" المكنى بأبى عبد الرحمن.

لقد ولد بعد أن غادر أبوه المدينة مجاهداً فى سبيل الله.. فتولت أمه تربيته

---

(١) أردف: أتبع.

(٢) تركن إليه: ترتاح إليه وتطمئن.

وتنشئته.. ولقد سمعت الناس قبيل الصلاة يقولون: إن أباه عاد الليلة الماضية.

عند ذلك تحدرت من عينى "فروخ" دمعتان كبيرتان لم يعرف لهما الرجل سبباً.. ومضى يحث الخطى نحو بيته.

فلما رأته أم ربيعة والدموع تملأ عينيه قالت: ما بك يا أبا ربيعة؟.

فقال: ما بى إلا الخير.

لقد رأيت ولدنا ربيعة فى مقام من العلم والشرف والمجد ما رأيته لأحد من قبل.

فاغتنمت أم ربيعة الفرصة وقالت: أيما أحب إليك.. ثلاثون ألف دينار أم هذا الذى بلغه ولدك من العلم والشرف؟.

فقال: بل – والله– هذا أحب إلىّ، وآثر عندى من مال الدنيا كله.

فقالت: لقد أنفقت ما تركته عندى عليه.. فهل طابت نفسك بما فعلت؟!.

فقال: نعم...

وجُزيت عنى وعنه وعن المسلمين خير الجزاء.

روى ربيعة عن أنس بن مالك وكثير من التابعين كان إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً بصيراً بالرأى ولذلك يقال له ربيعة الرأى ، وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة، وقال سوار بن عبد الله القاضى ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة بالرأى، قلت: ولا الحسن وابن سيرين؟ قال: ولا الحسن وابن سيرين وكان من الأجواد وهو الذى تفقه به مالك بن أنس الإمام. توفى سنة١٣٦هـ .

* * *

# مسلمة بن مخلد - رضى الله عنه -

ولد مسلمة قبل الهجرة بسنوات، قال يوماً على المنبر: أسلمت وأنا ابن أربع سنوات، وتوفى رسول الله ﷺ، وأنا ابن أربع عشرة سنة. أى: إنه أسلم عام الهجرة، وهو ما يعنى أن قومه دخلوا فى الإسلام حول هذا التاريخ.

روى أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها قوله عليه السلام: "من ستر مسلماً فى الدنيا ستره الله عز وجل فى الدنيا والآخرة، ومن نجى مكروباً، فك الله عز وجل عنه كربة من كربات يوم القيامة،ومن كان فى حاجة أخيه،كان الله فى حاجته".(١)

وكان مسلمة ورعاً، تقياً، حافظاً للقرآن، يطيل العبادة.

قال مجاهد(٢): كنت أرى أنى أحفظ الناس حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح، فقرأ سورة البقرة، فما ترك ألفاً ولا واواً. (وفى رواية: فما أخطأ فيها ألفاً ولا واواً).(٣)

شارك مسلمة فى فتح مصر، فكان على المدد الذى بعثه الخليفة الفاروق لعمرو، وقال له: إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف منهم رجل مقام ألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة ابن مخلد. كانت سن مسلمة آنذاك حوالى خمس وعشرين سنة، وكان الخليفة عمر قد جعله على صدقات قبيلة فزارة قبل أن يخرج إلى مصر مجاهداً.

وفى الفتح كان له الباع الطويل، إذ كان ممن تسلق السلم والسور مع الزبير، حتى فتح الله لهم حصن بابليون، وبه فتح أغلب مصر، وكان من المقربين للقائد عمرو بن العاص، يعتمد عليه ويستشيره، مع فارق السن الكبير بينهما.(٤)

فعندما حاصر المسلمون الإسكندرية، وطال الحصار، قال عمرو لمسلمة: أشر على فى قتال هؤلاء فقال مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله ﷺ، فتعقد له على الناس، فيكون هو الذى يباشر القتال، ويكفيكه.

---

(١) رواه أحمد فى أسد الغابة ٥/١٧٤.
(٢) مجاهد التميمى، من التابعين، وأحد القراء الكبار.
(٣) خطط المقريزى ٢/٨٤.
(٤) كانت سن مسلمة حوالى الخامسة والعشرين، أما عمرو فكان قد تخطى الستين بكثير.

وعاش مسلمة مع عمرو فى مصر، وقد عينه مشرفاً على الطواحين والغذاء، حتى عزل الخليفة عثمان عمراً، وخرج عمرو إلى فلسطين، فلم يمكث مسلمة فى مصر بعد ذلك، وإنما خرج إلى المدينة وعاش فيها، حتى بدأت الفتنة الكبرى بين على ومعاوية، فرحل إلى الشام قبل أن يستتب الأمر لمعاوية، ثم كان معه فى صفين، وأراد معاوية مجازاته فأمره على مصر والمغرب معاً.

وكان مسلمة مغرماً بالغزو لنشر الإسلام،وهو الذى زين لمعاوية غزو القسطنطينية، فبعث معاوية جيشاً كثيفاً، فيه كثير من الصحابة كابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وأبى أيوب الأنصارى، وعلى الجيش يزيد ابن معاوية، ومات أبو أيوب خلال هذه المحاولة، فدفنه يزيد تحت أسوار القسطنطينية- حسب وصيته.

وقد سير مسلمة الجيوش من مصر فى ولايته براً وبحراً إلى بلاد المغرب، وإلى الجزر التى فى البحر الأبيض (جزر الروم)، وهو الذى أكمل فتح جزيرة رودس عام ٥٢ للهجرة، بقيادة الصحابى جنادة الأزدى.

وقد أثار فتح رودس الروم، فجاءوا بجيش لغزو مصر من ناحية الساحل عند بحيرة البرلس، وذلك عام ٥٣ للهجرة، ولكن مسلمة كان لهم بالمرصاد، فردهم وهزمهم شر هزيمة فى معركة استشهد فيها الصحابى عائذ بن ثعلبة البلوى، ووردان مولى عمرو بن العاص وغيرهما..

على أن مسلمة لم يقتصر همه على الفتح فحسب، بل اهتم بالإصلاحات الداخلية، ومنها تعليم الناس الدين الجديد، فبنى المساجد الصغيرة فى كل مكان من مصر، فى القرى والكفور، ثم اتجه إلى المسجد الجامع فى الفسطاط محاولاً إصلاح ما أفسدته الأيام والظروف، فعمل خطة فى عام ٥٣ للهجرة لترميم المسجد وتوسعته وتجديده، دون أن يقترب من البناء القديم الذى بناه عمرو بن العاص، ثم بيضه وفرشه بالحصر بعد أن كان مفروشاً بالحصباء، ثم بنى فى كل ركن من أركانه الأربعة صومعة، أى: غرفة صغيرة، وهى إضافة تميز بها آنذاك أول مساجد الإسلام فى إفريقية.

ومسلمة هو أول من بنى المآذن[١] فى المساجد، فقد أمر ببناء منارة فى كل مسجد، وكتب عليها اسمه، ثم سن سنة لطيفة ذكرها على مبارك، قال: أمر مسلمة مؤذنى الجامع – جامع عمرو- أن يؤذنوا الفجر إذا مضى نصف الليل، فإذا فرغوا من آذانهم أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد، فكان لأذانهم دوى شديد.[٢]

وكان المتبع عند الفجر ضرب ناقوس لإيقاظ الناس.

تقول د. سعاد ماهر: وأمر ألا يضرب فى المسجد بناقوس عند الفجر، كما كان يفعل أولاً، وبذلك يعتبر مسلمة بن مخلد أول من جعل المآذن فى المساجد الإسلامية.[٣]

ولم يهمل مسلمة القبط، إنما قدم لهم مآثر مازالوا يذكرونها له، فقد ترك لهم حرية بناء الكنائس الجديدة، مع التصريح بتجديد وترميم القديم منها.

ومات معاوية بن أبى سفيان أول خلفاء بنى أمية عام ٦٠ للهجرة، وتولى ابنه يزيد الخلافة، فأقر مسلمة على ولاية مصر والمغرب.

وقد عاش مسلمة بن مخلد حياة حافلة بالأعمال الجليلة فى إمارته لمصر والمغرب، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى فى رجب عام ٦٢ للهجرة، وهو الأرجح، وقيل فى ذى الحجة (الموافق أبريل عام ٦٨٢ للميلاد) ودفن فى الإسكندرية[٤]، رضى الله عنه.

* * *

(١) ذكر المقريزى أن معاوية بن أبى سفيان هو الذى أشار على واليه بابتناء منار المسجد الذى فى الفسطاط.

(٢) الخطط التوفيقية ١٥/٤. (٣) مساجد مصر وأولياؤها ٣٧/٢.

(٤) قالت د. سعاد ماهر: ( عن ابن زولاق وابن الزيات): مات مسلمة بن مخلد بمصر – الفسطاط- وهو الأصح، وقبره بمصر بخط مذبح الجمل، ومذبح الجمل بمصر القديمة الآن، ويعرف الشارع الذى به ضريح مسلمة باسم شارع مسلمة ابن مخلد، أما الآن فقد تغير اسم الشارع الموجود به الضريح، وأصبح سوقاً للباعة المتجولة، متفرع من الشارع المؤدى إلى جامع عمرو بن العاص، والضريح عبارة عن زاوية صغيرة بداخلها غرفة مربعة تقوم عليها قبة صغيرة (مساجد مصر ٣٧/١).

# سعيد بن يزيد - رضى الله عنه -

هو: سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى، جاء إلى مصر ودخلها فى سنة ٦٢ للهجرة.

بعد وفاة مسلمة بن مخلد، حيث عينه الخليفة يزيد بن معاوية والياً عليها، وكان سعيد صغير السن، رغم قول بعض الرواة بصحبته، واستبعد كثير منهم ذلك، مع أنه روى كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، منها قوله: عن رجل من الصحابة قال: يا رسول الله أوصنى. قال: "أوصيك أن تستحيى من الله كما تستحيى رجلاً صالحاً من قومك".

وصل سعيد إلى مصر، وشاهده كبراء الناس وفضلاؤهم، فاستصغروه، فقالوا: يغفر الله لأمير المؤمنين، أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك، يولى علينا أحدهم؟، وبالغوا فى إزدرائه والبعد عنه.

قال ابن تغرى بردى: ولم يزل أهل مصر من الشنآن له والإعراض عنه والتكبر عليه، حتى توفى يزيد بن معاوية[١]، ودعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته، وقامت أهل مصر بدعوته، وسار منهم جماعة كثيرة إليه، فبعث عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن جحدم أميراً على مصر، واعتزل سعيد، فكانت ولايته سنتين إلا شهراً، وقيل سنتين وأشهراً.[٢]

ولو استعرضنا حال مصر خلال السنتين اللتين تولى فيهما سعيد، لوجدنا أن حال البلاد لم يكن فى استقرار، وإنما كانت الحروب تحيط بالبلاد شرقاً وغرباً، فمن جهة الشرق خرج عبد الله بن الزبير، وطالت الحروب بينه وبين بنى أمية، وفى الغرب خرج كسيلة البربرى الذى ارتد بعد إسلامه، وهجم على عساكر المسلمين، وعليهم عقبة بن نافع، واستولى على أمر إفريقية، ولم يستطع سعيد أن يرد هذه الهجمات البربرية على بلاد المغرب.

أى : إن الحروب والاضطرابات لم تترك فرصة للوالى سعيد بن يزيد أن يتفرغ لمصر وإصلاحاتها الداخلية وشئونها الدينية، فكل ما أثر عنه حبه للعلم، ورواية حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) توفى يزيد فى ربيع أول عام ٦٤ للهجرة.

(٢) النجوم الزاهرة ١/ ١٥٨.

غير أن قصر مدته لم يسمح بظهور تصدعات فى السلطة الداخلية، حتى كانت خلافة عبد الله بن الزبير.

* * *

## رفيـع بن مهـران - رضى الله عنه -

### أبو العالية

ولد رفيع بن مهران فى بلاد "فارس"، وعلى أرضها نشأ وترعرع، ولما شرع المسلمون بغزو بلاد "الفرس" ليخرجوا أهلها من الظلمات إلى النور..

كان رفيع هذا أحد الشبان الأرقاء الذين وقعوا فى أيدى المسلمين الحانية، وآلوا إلى رحابهم الخيرة البانية.

ثم ما لبث أن وقف هو ومن معه على سمو الإسلام.. ووازنوا بينه وبين ما كانوا عليه من عبادة الأوثان.. فطفقوا يدخلون فى دين الله أفواجاً.. ثم أقبلوا على كتاب الله.. وجعلوا يتملون من حديث رسول الله.

سمع من عمر وابن مسعود وعلى وعائشة.

ولقد انتهى أمر رفيع بن مهران إلى امرأة من بنى "تميم".

وكانت هذه المرأة سيدة عاقلة وقوراً.. ممتلئة تقى وإيماناً.. فكان يخدمها بعض النهار، ويرتاح فى بعضه الآخر.

فأتقن القراءة والكتابة فى أوقات فراغه، وتلقى خلالها طرفاً من علوم الدين، دون أن ينال ذلك شيئا من حقوقها عليه.

وفى ذات يوم من أيام الجمع توضأ رفيع، فأحسن الوضوء ثم استأذن سيدته بالانصراف.

فقالت: إلى أين يا رفيع؟.

فقال: ابتغى المسجد.

فقالت: أى المساجد تريد؟.

فقال: المسجد الجامع.[1]

---

(١) الجامع: المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة.

فقالت: هيا بنا.

ثم مضيا معاً، ودخلا المسجد مع الداخلين، وهو لا يعلم ما تريد. فما إن امتلأ الجامع، وارتقى الإمام المنبر حتى أمسكت بيد رفيع، وقالت:

اشهدوا يا معشر المسلمين أنى أعتقت غلامى هذا رغبة فى ثواب الله.. وطمعاً بعفوه ورضاه.. وأنه ليس لأحد عليه من سبيل إلا سبيل المعروف.

ثم نظرت إليه وقالت:

اللهم إنى أدخره عندك ليوم لا ينفع فيه مال ولابنون.. ولما قضيت الصلاة، انطلق رفيع إلى سبيله، وانطلقت هى الأخرى إلى سبيلها أيضاً.

دأب رفيع بن مهران منذ ذلك اليوم على التردد إلى المدينة المنورة. فحظى بلقاء الصديق رضوان الله عليه، وذلك قبيل وفاته بقليل.

كما سعد بالاجتماع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقرأ عليه القرآن، وصلى خلفه.

وكما أكب رفيع – المكنى بأبى العالية– على كتاب الله، فقد تعلق بحديث رسول الله.. فجعل يسمع روايته من التابعين الذين كان يلقاهم فى "البصرة". لكنه ما لبث أن طمحت نفسه لما هو أثبت[1] من ذلك.

فأخذ يمضى إلى المدينة حيناً بعد حين، ليسمعه من أفواه صحابة الرسول ﷺ أنفسهم، حتى لا يكون بينه وبين النبى ﷺ إلا شخص واحد هو الصحابى.

فأخذ عن عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، وأبى أيوب الأنصارى، وأبى هريرة، وعبد الله بن عباس، وغيرهم وغيرهم..

ولم يقتصر أبو العالية على رواة الحديث فى المدينة المنورة.. وإنما كان ينشد حديث الرسول ﷺ فى كل مكان.

فإذا وصف له رجل بالعلم، ضرب إليه مهما كان بعيد الدار.

---

(١) أثبت: أشد ثبوتاً وأقوى صحة.

فإذا وصل إليه بادر فصلى خلفه.. فإذا وجده لا يتقن صلاته أحسن الإتقان.. ولا يوفيها حقها أكمل التوفية، أعرض عنه وقال فى نفسه:

إن الذى يتهاون فى صلاته يكون أشد تهاوناً فى غيرها... ثم يحمل عصاه، ويعود من حيث جاء..

ولقد بلغ أبو العالية منزلة فى العلم فاق بها جميع أقرانه.. من ذلك أن أحد أصحابه قال: رأيت أبا العالية يتوضأ، والماء يقطر من وجهه ويديه.

والطهارة تتألق[١] على كل عضو من أعضائه... فحييته وقلت: إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين.

فقال يا أخى:

ليس المتطهرون الذين يتطهرون بالماء من الدرن[٢]... وإنما هم الذين يتطهرون بالتقوى من الذنوب.

فتأملت ما قاله، وأدركت أنه أصاب وأخطأت، وقلت: جزاك الله خيراً، وزادك علماً وفهماً.

ولقد دأب أبو العالية على حض الناس على طلب العلم، وجعل يرسم لهم سبل الوصول إليه، فيقول:

روضوا[٣] أنفسكم على تلقى العلم، وأكثروا من السؤال عنه.

واعلموا أن العلم لا يخفض جناحيه لمستح، أو متكبر.

فالمستحى لا يسأل لحيائه.. والمتكبر لا يسأل لكبريائه.

وكان يحض طلابه على تعلم القرآن، ورعايته، والاستمساك بما جاء فيه، والإعراض عما يتقوله المتقولون[٤]... فيقول: تعلموا القرآن... فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه... وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام... وإياكم وهذه الأهواء[٥]، فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء.

---

(١) تتألق: تلمع، وتبرق. (٢) الدرن: الوسخ. (٣) روضوا: ذللوا وطوعوا.
(٤) يتقوله المتقولون: يبتدعه المبتدعون.
(٥) الأهواء: البدع وما تميل إليه الأفكار مما لا يوافق ما جاء فى كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ .

ولا تحيدوا عن الأمر الذى كان عليه صحابة رسول الله ﷺ قبل أن يتفرقوا... فنقلوا ذلك إلى الحسن البصرى فقال: لقد نصحكم أبو العالية – والله– وصدقكم.

كما كان يرسم لطلاب العلم الطريق الأمثل لحفظ القرآن، فيقول: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإنه أيسر على أذهانكم.. وأقوى على أفهامكم.. فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به على النبى خمس آيات، خمس آيات.

ولم يكن أبو العالية معلماً فحسب، وإنما كان موجهاً أيضاً... ذلك أنه كان يملأ عقول طلابه بالمعرفة النافعة... ويغذى أفئدتهم بالموعظة الحسنة... ويجمع بين الأمرين فى كثير من الأحيان.

من ذلك قوله لهم:

إن الله قضى على نفسه: أن من آمن به هداه... ومصداق ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

وأن من توكل عليه كفاه... ومصداق ذلك قوله تبارك وتعالى:﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ[1]﴾ [الطلاق:٣].

وأن من أقرضه[2] جازاه... ومصداق ذلك قوله عز من قائل:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥].

وأن من دعاه أجابه... ومصداق ذلك قوله علت كلمته:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وكان يقول لتلاميذه:

اعملوا بالطاعة، وأقبلوا على المطيعين لطاعتهم.. واجتنبوا المعصية، وعادوا العصاة لمعصيتهم.. ثم كلوا أمر العصاة إلى الله، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

وإذا سمعتم الرجل يرفع من شأن نفسه فيقول:

---

(١) حسبه: معطيه وكافيه. (٢) أقرضه: تصدق على الناس طمعاً برضاه.

إننى أحب فى الله، وأكره فى الله... وأفضل كذا مرضاة لله، وأعرض عن كذا خوفاً من الله... فلا تعتدوا[١] به.

ولم يكن أبو العالية عالماً عاملاً فحسب، ولا واعظاً مرشداً فقط.

وإنما كان مجاهداً أيضاً... فكان يقضى قدراً من وقته فى ميادين الجهاد مع المجاهدين... أو مرابطاً على ثغور الأعداء مع المرابطين.

ولقد ظل أبو العالية طوال حياته أسوان[٢] أسفاً لأنه لم يحظ بلقاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه..

وكان يحاول أن يعوض عن ذلك بالتقرب من كرام الصحابة الذين توثقت صلتهم بمحمد رسول الله ﷺ.

فكان يؤثرهم[٣] ويحبهم، وكانوا يؤثرونه ويفضلونه.

ومن آيات ذلك أن أنساً[٤]- خادم رسول الله ﷺ- أهدى له تفاحة كانت فى يده.

فأخذها منه، وجعل يقبلها ويقول:

تفاحة مستها يد مست يد رسول الله... تفاحة مستها يد حظيت بمس يد رسول الله.

ومن ذلك أيضاً أنه دخل ذات مرة على عبد الله بن عباس، وكان يومئذ يتولى إمارة "البصرة" من قبل على بن أبى طالب.

فرحب به عبد الله بن عباس أجمل الترحيب، ورفعه على سريره، وأجلسه عن يمينه.

وكان فى المجلس طائفة من سادة قريش، فتغامزوا[٥] به، وتهامسوا بينهم... وقال بعضهم لبعض:

أرأيتم كيف رفع ابن عباس هذا العبد على سريره؟!.

وقد أدرك ابن عباس ما يتغامزون به، فالتفت إليهم وقال:

---

(١) فلا تعتدوا به: فلا تلتفتوا إلى ما يقول. (٢) أسوان: حزيناً. (٣) يؤثرهم: يفضلهم على نفسه.

(٤) أنس بن مالك: كتاب "صور من حياة الصحابة" د. عبد الرحمن رأفت الباشا.

(٥) فتغامزوا: جعل بعضهم يغمز لبعض بعينيه.

إن العلم يزيد الشريف شرفاً، ويرفع قدر أهله بين الناس، ويجلس المماليك على الأسرة.

وتوفى رفيع بن مهران سنة ٩٠هـ وبلغ من تقاه وترقبه لليوم الآخر، واستعداده للقاء ربه، أنه أعد لنفسه كفناً.

وأنه كان يلبس كفنه كل شهر مرة ثم يرده إلى مكانه... ولقد أوصى سبع عشرة مرة، وهو صحيح سليم... وكان يحدد لكل وصية أجلاً، فإذا جاء أجلها نظر فيها.

فإما أن يعدلها... وإما أن يبدلها... وإما أن يمضيها... وفى شهر شوال سنة ثلاث وتسعين للهجرة... مضى أبو العالية إلى لقاء ربه، طاهر الذيل... نقى النفس... واثقاً برحمة ربه... متشوقاً إلى لقاء نبيه.

* * *

## المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندى - رضى الله عنه -

تبناه الأسود بن عبد بغوث، فكان يقال: المقداد بن الأسود، حتى نزل قوله تعالى: (أدعوهم لآبائهم) فدعى المقداد بن عمرو.

أسلم قديماً، وتزوج ابنة عم الرسول ﷺ: ضباعة بنت الزبير، وسبب هذه الزيجة أنه طلب الزواج من ابنة عبد الرحمن بن عوف،فغضب عبد الرحمن وأغلظ له، فشكا ذلك للنبى ﷺ، فقال: أنا أزوجك، وزوجه ضباعة.(١)

شهد المقداد بدراً، وكان الفارس الوحيد بها، ثم شهد بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، استعمله رسول الله ﷺ على سرية، ولما رجع، قال له ﷺ: كيف رأيت الإمارة أبا معبد؟ قال: خرجت يا رسول الله، وما أرى فضلاً لى على أحد من القوم، فما رجعت إلا وكأنهم عبيد لى. قال: كذلك الإمارة يا أبا معبد، إلا من وقاه الله شرها. قال: والذى بعثك بالحق، لا أعمل على عمل أبداً.(٢)

روى عن رسول الله ﷺ أحاديث عن مواقف مشرفة منها ما رواه أبو أيوب

---

(١) الإصابة: ٢٠٣/٦.
(٢) فتوح مصر: ١٠١.

الأنصارى – قبل بدر، قال: قال لنا رسول الله ﷺ، ونحن بالمدينة- بعد أن أخبر بعير أبى سفيان مقبلة-: هل لكم أن نخرج، فتلقى هذه العير لعل الله يغنمناهـا؟. قلنا: نعم.

فخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين، قال لنا: ما ترون فى القـوم؟ فـإنهم قـد أخبروا بخروجكم؟ قلنا: لا، والله يا رسول الله مالنا بطاقة بقتال العـدو، ولكنـا أردنا العير. قال: ما ترون فى قتال العدو؟. قلنا: لا طاقة لنا بقتالهم. وهنا وقف المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله امض لما أمرت بـه فنحـن معـك، والله لا نقول كما قالت بنـو إسـرائيل لموسـى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنـا معكمـا مقـاتلون، فوالذى بعثك بالحق نبياً لو سـرت بنا إلى بـرك الغمـاد [١] لجالدنـا معك من دونه، حتى تبلغه. فقال له ﷺ خيراً، ودعا له.

وتقول رواية ابن عبد الحكم: فقال أبو أيوب: فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد، أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم.[٢]

وشارك المقداد فى فتح الشام ومصر والمغرب، ثم عاد إلى مصر، قال ابـن عبد الحكم: غزا عبد الله بن سعد المغرب مع المقداد بإفريقية، فلما رجعوا، قال عبد الله للمقداد فى دار بناها: كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له: إن كان مـن مال الله فقد أسرفت، وإن كان من مالك فقد أفسدت. فقال عبد الله بن سعد: لولا أن يقول قائل أفسد مرتين، لهدمتها.[٣]

وترك المقداد مصر، وعاش فى المدينة حتى توفى عـام ٣٣ للهجـرة، عـن سبعين عاماً، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، وكان رضى الله عنـه قـد أوصى للحسن والحسين بستة وثلاثين ألفاً، ولأمهات المؤمنين لكل واحدة بسبعة آلاف درهم.[٤]

* * *

(١) برك الغماد: موضع وراء مكة بخمس ليال، قبل اليمن. (معجم البلدان).

(٢) فتوح مصر ٢٦٨. (٣) فتوح مصر ١١٠. (٤) سير أعلام النبلاء ٣٨٩/١.

## سهـــل بن مالك - رضى الله عنه -

هو سهل بن مالك الخزرجى الساعدى، وكنيته أبو العباس وقيل أبو يحيى، وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله ﷺ سهلا.

وقد رأى رسول الله ﷺ وسمع منـــه وشهـــد قضـــاؤه فى المتلاعنتيـــن بالتفريق بينهما.

روى عن رسول الله ﷺ مائة وثمانين حديثا، وقد روى عن أبى بن كعب وعاصم بن عدى ومروان بن الحكم وغيرهم.

وروى عنه أبو هريرة وسعيد بن المسيب والزهرى وأبو حازم وابن عباس بن سهل.

وقد عاش وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف الثقفى ولم يسلم من أذاه وأراد ألا يسمع الناس منه لاتهامه بعدم مناصرة عثمان ﷺ .

وكان له يوم توفى رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وقد نزل المدينة وتوفى بها سنة ثمانى وثمانين عن ست وتسعين سنة وقيل سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة، وهو آخر من بقى بالمدينة من أصحاب النبى ﷺ.

وقد روى أنه قال: لو مت لم تسمعوا من أحد يقول قال رسول الله ﷺ.

* * *

## أبـــو سلمـــة - رضى الله عنه -

أبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عـــوف وهـــو من كبـــار التابعيـــن وهو عبد الله الأصغر.

وأمه تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث وهى أول كلبية ينكحها قرشى.

وأبو سلمة كانت كنيته.

لما ولى سعيد بن العاص بن أمية المدينة لمعاويـــة بن أبى سفيـــان فى المرة

الأولى جعل أبا سلمة قاضيا على المدينة فلما عزل سعيد وولى مروان المدينة عزل أبا سلمة عن القضاء وولى القضاء وشرطه أخوه مصعب بن عبد الرحمن.

روى أبو سلمة عن أبيه وعن زيد بن ثابت وأبى قتادة وجابر بن عبد الله وأبى هريرة وابن عمرو وابن عباس وعائشة وأم سلمة وكان فقيها ثقة كثير الحديث توفى بالمدينة سنة أربع وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

* * *

## بسر بن أبى أرطاة العامرى القرشى - رضى الله عنه -

بعد فتح مصر اختط بها وعاش فيها، حتى كانت بوادر الفتنة، فانحاز للخليفة عثمان، ثم كان مع معاوية، وعندما استتب الأمر له، ولى بسراً الحجاز واليمن.

كان بسر شجاعاً، فكان إذا ركب البحر قال: أنت بحر وأنا بسر، علىّ وعليك الطاعة لله، سيروا على بركة الله.

روى أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها ما ذكره أبو داود، قال: كان بسر فى البحر، فأتى بسارق، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقطع الأيدى فى السفر.

وحديث آخر رواه ابن حبان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها.

عاش بسر حتى خلافة عبد الملك بن مروان، قال ابن سعد: كان بسر عثمانياً، وصحب معاوية، وبقى إلى خلافة عبد الملك بن مروان.[1]

* * *

(١) الطبقات ٤٠٩/٧. وكانت خلافة عبد الملك من عام ٦٥ إلى عام ٨٦ للهجرة.

## محمد بن مسلم - رضى الله عنه -

هو محمد بن مسلم وشهرته ابن شهاب الزهرى ولد سنة ٥٠ وحدث عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وغيرهم.

قال الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهرى يحدث فى الترغيب فنقول لا يحسن غيره، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك.

وقال عمر بن عبد العزيز لم يبق أحد أعلم بسنة نبيه من الزهرى.

وقال مالك: بقى ابن شهاب وماله فى الدنيا نظير.

وقال الليث: كان من أسخى الناس وكان يؤدب ولد هشام بن عبد الملك ويجالسه، وقد سأله هشام أن يملى على بعض ولده شيئا، فأملى عليه أربعمائة حديث، ثم لقيه بعد شهر أو نحوه فقال للزهرى: إن ذلك الكتاب قد ضاع فدعا بكتاب فأملاها عليه، ثم قابل ذلك بالكتاب الأول فما غادر حرفاً واحداً.

وقال مالك قدم ابن شهاب المدينة فأخذ بيد ربيعة ودخلا إلى بيت الديوان، فلما خرجا وقت العصر خرج ابن شهاب وهو يقول: ما ظننت بالمدينة مثل ربيعة، وخرج ربيعة يقول ما ظننت أن أحداً بلغ من العلم ما بلغ ابن شهاب.

وقال ابن شهاب: قال لى القاسم بن محمد أراك تحرص على العلم أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى. قال: عليك ببنت عبد الرحمن فإنها كانت فى حجر عائشة فأتيتها فوجدتها بحراً لا ينضب. توفى سنة ١٢٤ هـ.

* * *

## يزيد بن أبى حبيب مولى الأزد - رضى الله عنه -

هو يزيد بن أبى حبيب واسمه سويد الأزدى أبو رجاء المصرى، فقيه مصر وشيخها ومفتيها، لقى عبد الله بن الحارث، وهو سودانى الأصل، أبوه من أهل دنقلة ونشأ بمصر.

روى عن بعض الصحابة وأكثر روايته عن التابعين أمثال سالم ونافع وعكرمة وعطاء، وروى عنه ابن لهيعة والليث وآخرين.

قال أبو سعيد بن يونس كان مفتى أهل مصر وكان حليماً عاقلاً وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل والحلال والحرام وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن.

قال الليث بن سعد: يزيد عالمنا وسيدنا.

وقيل إن يزيد أحد ثلاثة جعل عمر بن عبد العزيز الفتيا إليهم بمصر .

وكانت البيعة إذا جاءت لخليفة فأول من يبايع عبيد الله بن أبى جعفر ويزيد ابن حبيب.

قال ابن لهيعة: مرض يزيد فعاده الحوثرة بن سهيل أمير مصر قال يا أبا رجاء ما تقول فى الصلاة فى الثوب وفيه دم البراغيث فحول وجهه ولم يكلمه فقام فنظر إليه يزيد وقال: تقتل كل يوم خلقاً وتسألنى عن دم البراغيث.

وقال سعيد بن عفير: أرسل زبان بن عبد العزيز إلى يزيد أئتنى لأسألك عن شىء من العلم، فأرسل إليه بل أنت فأتنى فإن مجيئك إلىّ زين لك ومجيئى إليك شين علىّ ، توفى سنة ١٢٨ هـ.

***

## جنادة بن أبى أمية الأزدى الزهرانى - رضى الله عنه -

شهد فتح مصر، وولى البحر لمعاوية بن أبى سفيان. قال ابن الأثير: ولى البحر من زمن عثمان إلى أيام يزيد إلا ما كان أيام الفتنة.

روى أحاديث عن رسول الله ﷺ منها قوله: تذاكرنا الهجرة ، فقال بعضنا: انقطعت. وقال بعضنا: لم تنقطع. فأرسلنا[1] رجلاً منا إلى النبى ﷺ ،فقال: لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد.

والمقصود هنا: الهجرة بالمعنى العام، وهى هجرة المنهى عنه إلى المأمور به، والجهاد مأمور به، فالتزامه هجرة إلى الله عز وجل،أما الهجرة بالمعنى الخاص

(١) فى رواية الإصابة: فانطلقت إلى النبى ﷺ...

(إلى المدينة) فتلك هى التى انقطعت بقول رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد الفتح ، ولكن إيمان وجهاد، وإذا استنفرتم فانفروا ويوضع بإزاء هذا قول رسول الله ﷺ: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

وهناك حديث آخر رواه الصحابى جنادة، قال: دخلنا مع نفر على النبى ﷺ يوم الجمعة، فقرب إلينا طعاماً، فقال: كلوا. فقلنا: إنا صيام. فقال: أصمتم أمس؟. قلنا: لا. قال: أفصائمون أنتم غداً؟ قلنا: لا. قال: فأفطروا.(١)

وزاد ابن سعد فى الرواية، قال: ثم خرج النبى ﷺ إلى الجمعة، فلما جلس على المنبر دعا بإناء فيه ماء، فشرب، والناس ينظرون،ليعلمهم أنه لايصوم يوم الجمعة.(٢)

* * *

## خارجة بن حذافة بن غانم العدوى القرشى - رضى الله عنه -

أسلم يوم الفتح، وهو من الفرسان، عده عمر بن الخطاب بألف رجل فى المدد الذى بعثه لعمرو بن العاص، ولشجاعته كان عطاؤه مميزاً، بعث الخليفة إلى عمرو قائلاً: أنظر من قبلك ممن بايع تحت الشجرة، فأتم لهم العطاء مائتين، وأتمها لنفسك لإمرتك، وأتمها لخارجة بن حذافة لشجاعته.(٣)

بعد أن فتحت مصر اختط خارجة بالفسطاط بيتاً، وولاه عمرو على الشرطة، حتى كان يوم ١٧ من رمضان عام ٤٠ للهجرة، أصيب عمرو بمغص، فاستخلف خارجة على الصلاة.

قال ابن عبد الحكم: كان عمرو قد أصابه فى بطنه شىء، فتخلف فى منزله، وكان خارجة يغشى الناس، فضربه الحرورى، وهو يظن أنه عمرو.(٤)

وكان ثلاثة من الخوارج من جيش على بن أبى طالب قد اتفقوا على قتل كل من على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص فى يوم واحد هو ١٧ من رمضان، والخوارج الثلاثة هم: عبد الرحمن بن ملجم الحميرى قاتل

---

(١) فتوح مصر ٣٠٦.
(٢) الطبقات ٥٠٣/٧.
(٣) فتوح مصر ١٤٥.
(٤) فتوح مصر ٢٦٠.

على فى الكوفة، وكان ممن شهد الفتح، وسكن مصر لفترة، والحجاج بن عبد الله التميمى الذى حاول قتل معاوية، ولكنه فشل فى قتله فى دمشق، والثالث عمرو ابن بكر التميمى قاتل خارجة بن حذافة فى الفسطاط، الذى شاء الله أن يقتل بدلاً من عمرو، حتى إن القاتل بعد علمه بمن قتل، صرخ، وقال: والله ما أردت إلا عمراً. ويقول عمرو عندما يبلغه هذا القول: ولكن أراد الله خارجة.

روى خارجة بعض أحاديث رسول الله ﷺ منها قوله: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: إن الله قد أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم، الوتر جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر.(١)

* * *

## السائب بن خلاد بن سويد الخزرجى الأنصارى - رضى الله عنه -

عرف بكنيته (أبو سهلة)، وبعد أن شارك فى فتح مصر، رجع إلى المدينة، وعاش فيها، ولكنه جاء مصر مرة أخرى لمقابلة عقبة بن عامر الجهنى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى الستر شيئاً؟. فقال عقبة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ستر مسلماً ستره الله. فقال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟. فقال: نعم. فراح، ولم يقدم من المدينة إلا لذلك.

وفى رواية: أنه قدم على مسلمة بن مخلد وهو الأمير، وقال له : أرسل إلى عقبة بن عامر، فذهب إليه فى قرية، فقال له: أتذكر مجلساً كنت أنا وأنت فيه مع رسول الله ﷺ ليس معنا أحد غيرنا؟. قال: نعم. قال: كيف سمعته؟. قال: سمعته يقول: من اطلع على أخيه، على عورة، ثم سترها، جعلها الله له يوم القيامة حجاباً من النار.

وفى رواية: كأنما أحيا موءودة من قبرها. قال: كنت أعرف ذلك، ولكنى أوهمت الحديث، فكرهت أن أحدث به على ما كان. ثم ركب على صدر راحلته، ثم رجع.(٢)

وقد روى السائب أحاديث عن رسول الله ﷺ منها قوله: أتانى جبريل عليه

---

(١) فتوح مصر ٢٦٠.

(٢) أسد الغابة ٢/٢٥٤.

السلام، فأمرنى أن آمر أصحابى أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية.

وقوله ﷺ: من أخاف أهل المدينة، أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.(١)

وقد عمر السائب، ومات عام ٧١ للهجرة، وقيل: عام ٩١ للهجرة.

* * *

## أبرهة بن شرحبيل - رضى الله عنه -

هو أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى وفد على رسول الله ﷺ مبايعاً، ففرش له رسول الله ﷺ رداءه، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث.

بعد نهاية الفتح، وبناء الفسطاط، بعثه عمرو ليكون مرابطاً فى الفرما، ومعه سرية من المسلمين.

قال ابن الأثير: وبعث عمرو إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، فنزل بها ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فنزل بها.(٢) وأبرهة ممن اختطوا بالجيزة، وعاش فيها بعد ذلك.

* * *

## أبو بكر بن هشام المخزومى - رضى الله عنه -

هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، ولد فى خلافة عمر، وروى عن أبيه وعن غيره من الصحابة.

وروى عنه الزهرى وغيره من صغار التابعين.

وكان ثقة حجة فقيها إماماً كثير الرواية سخياً وكان صالحاً عابداً متألها كان يقال له راهب قريش توفى بالمدينة سنة ٤٩ هـ.

* * *

(١) الإصابة ٣/٢١.
(٢) أسد الغابة ١/ ٥٦.

## عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - رضى الله عنه -

أخذ عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم وكان مع إمامته فى الفقه والحديث شاعراً محسناً، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز. قال الزهرى: كان عبيد الله من بحور العلم. مات سنة ٩٨هـ .

* * *

## سليمان بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة - رضى الله عنه -

روى عنها وعن عائشة وأبى هريرة وابن عباس وزيد بن ثابت وغيرهم ، قال الحسن بن محمد ابن الحنفية: وهو أفهم عندنا من سعيد بن المسيب، وقيل كان المستفتى يأتى سعيد بن المسيب فيقول عليك بسليمان بن يسار وقال مالك كان من علماء الناس. مات سنة ١٠٧ هـ.

* * *

## نافع مولى عبد الله بن عمر - رضى الله عنه -

روى عن مولاه وعائشة وأبى هريرة وغيرهم، وبعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنة، وكان فى حياة سالم بن عبد الله بن عمر لا يفتى. خدم عبد الله بن عمر ثلاثين سنة وهو ديلمى الأصل توفى سنة ١١٧ هـ .

* * *

## أبو جعفر بن محمد المعروف بالباقر - رضى الله عنه -

هو أبو جعفر بن محمد بن على بن الحسين وشهرته كانت الباقر وهو الإمام الخامس من أئمة الشيعة الإمامية.

روى عن أبيه وجابر وابن عمر وغيرهم، كان سيد بنى هاشم فى زمانه توفى سنة ١١٤هـ.

* * *

## أبو الزناد عبد الله بن ذكوان فقيه المدينة - رضى الله عنه -

سمع أنس بن مالك وكثيراً من التابعين، قال الليث بن سعد: رأيت خلفه ثلاثمائة تابع بين طالب فقه وطالب شعر وصنوف، قال: ثم لم يلبث أن بقى وحده وأقبلوا على ربيعة الرأى.

وقال أبو حنيفة: رأيت ربيعة وأبا الزناد، وأبو الزناد أفقه الرجلين وكان سفيان يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين فى الحديث. توفى سنة ١٣١هـ.

***

## يحيى بن سعيد الأنصارى - رضى الله عنه -

حدث عن أنس بن مالك وعن كثير من التابعين، قال يحيى القطان: هو مقدم على الزهرى، اختلف على الزهرى ولم يختلف عليه.

وقال أحمد بن حنبل: يحيى بن سعيد أثبت الناس، وقال وهيب: قدمت من المدينة فلم ألق بها أحداً إلا وأنت تعرف وتنكر غير يحيى بن سعيد ومالك. توفى سنة ١٤٦هـ.

***

## مجاهد بن جبر مولى بنى مخزوم - رضى الله عنه -

سمع سعداً وعائشة وأبا هريرة وابن عباس ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم.

قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت، وقال قتادة أعلم من بقى بالتفسير مجاهد، وقال:ربما أخذ لى ابن عمر بالركاب. توفى سنة ١٠٣هـ.

***

## عكرمة مولى ابن عباس - رضى الله عنه -

روى عن ابن عباس وعن عائشة وأبى هريرة وغيرهم، وتفقه بابن عباس

وقيل لسعيد بن جبير: أتعلم أحداً أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة.

وعن الشعبى قال: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وقد تكلم فيه بأنه يرى رأى الخوارج ومن ثم لم يخرج له مالك الإمام ولا مسلم بن الحجاج مات سنة ١٠٧هـ.

***

## أبو الزبير مولى حكيم بن حزام - رضى الله عنه -

هو أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس مولى حكيم بن حزام، حدث عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وغيرهم. قال يعلى بن عطاء: حدثنا أبو الزبير، وكان أكمل الناس عقلاً وأحفظهم.

وقال عطاء: كنا نكون عند جابر فيحدثنا فإذا خرجنا تذاكرنا فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث، توفى سنة ١٢٧هـ.

***

## علقمة بن قيس النخعى فقيه العراق - رضى الله عنه -

ولد فى حياة رسول الله ﷺ وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلى، وتفقه بابن مسعود وكان أنبل أصحابه.

روى عن ابن مسعود أنه قال: ما أقرأ شيئا وما أعلم شيئا إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه.

قال قابوس بن أبى ظبيان، قلت لأبى: لأى شىء كنت تدع الصحابة وتأتى علقمة؟ قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يسألون علقمة ويستفتونه.

قال الذهبى:كان فقيهاً إماماً بارعاً طيب الصوت بالقرآن ثبتاً فيما ينقل صاحب خير وورع كان يشبه ابن مسعود فى هديه ودله وسمته وفضله، مات سنة ٦٢هـ.

***

## مسروق بن الأجدع الهمدانى الفقيه أحد الأعلام - رضى الله عنه -

وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب أخذ عن عمر وعلى وابن مسعود. قال الشعبى: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه وكان ألم بالفتوى من شريح وكان شريح يستشيره وكان مسروق لا يحتاج إلى شريح. توفى سنة ٦٣هـ.

***

## إبراهيم بن يزيد النخعى فقيه العراق - رضى الله عنه -

روى عن علقمة ومسروق والأسود وغيرهم وهو شيخ حماد بن أبى سلمة الفقيه كان من العلماء ذوى الإخلاص وكان يتوقى الشهرة .

وقال عبد الملك بن أبى سليمان: سمعت سعيد بن جبير يقول تستفتونى وفيكم إبراهيم النخعى، وكان لا يتكلم فى العلم إلا أن يسأل. مات سنة ٩٥هـ.

***

## الحسن بن أبى الحسن يسار مولى زيد بن ثابت - رضى الله عنه -

نشأ بالمدينة وحفظ القرآن فى خلافة عثمان ثم كبر، ولازم الجهاد ولازم العلم والعمل وكان أحد الشجعان الموصوفين، حدث عن كثير من الصحابة.

قال ابن سعد: كان عالماً رفيعاً ثقة حجة مأموناً ناسكاً كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً وهو أحد الصادعين بالحق الذين لايخشون فى الله لومة لائم مات سنة ١١٠هـ.

***

## جابر بن زيد صاحب ابن عباس - رضى الله عنه -

هو جابر بن زيد صاحب ابن عباس وكنيته: أبو الشعثاء، روى عن ابن عباس أنه قال: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً بما فى كتاب الله، وروى عنه أنه قال: تسألونى عن شىء، وفيكم جابر بن زيد؟ قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد. وروى أن عمر

لقيه فى الطواف فقال له يا جابر إنك من فقهاء البصرة وإنك تستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإن لم تفعل هلكت وأهلكت. مات سنة ٩٣هـ.

## قتادة بن دعامة الدوسى - رضى الله عنه -

حدث عن أنس وعن سعيد بن المسيب وغيرهما قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس. هو قتادة بن دعامة الدوسى كان فقيها عالما قوى الحفظ، ويقال إنه كان ضريراً.

وقال قتادة: ما فى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا.

قال أحمد بن حنبل: قتادة أعلم بالتفسير وباختلاف العلماء ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب فى ذكره، وقال: قل أن تجد من يتقدمه.

وقال قتادة: ما أفتيت بشىء من رأيى منذ عشرين سنة. ومع حفظه كان رأساً فى العربية واللغة وأيام العرب والنسب. توفى سنة ١١٨هـ.

***

## مكحول بن أبى مسلم - رضى الله عنه -

هو الإمام مكحول بن أبى مسلم، ولد بمصر وكان مولى امرأة من هذيل وأصله من كابل.

وروى عن ثوبان وأبى إمامة وواثلة وأنس بن مالك وغيرهم وروى أيضا عن الزهرى وأبى حنيفة .

وأيضاً روى عن صغار الصحابة وكان يدلس على الكبار – يعنى يروى عنهم دون أن يبين الواسطة بينه وبينهم– .

رحل كثيراً فى طلب العلم فأدرك منه حظاً وافراً.

قال الزهرى: العلماء ثلاثة فذكر مكحولاً.

وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول. توفى سنة ١١٣هـ.

***

## أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى - رضى الله عنه -

هو أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ، كان مفتى أهل مصر فى زمانه .

تفقه على عقبة بن عامر الجهنى وعلى عبد الله بن عمر.

وروى عن أبى أيوب الأنصارى وأبى بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى، توفى سنة ٩٠هـ.

***

## وهب بن منبه الصنعانى - رضى الله عنه -

عالم أهل اليمن، روى عن ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم، وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير فإنه صرف عنايته إلى ذلك لدرجة المبالغة.

قال العجلى: كان ثقة تابعيا على قضاء، توفى سنة ١١٤هـ.

***

## يحيى بن أبى كثير مولى طيئ - رضى الله عنه -

روى عن أنس بن مالك وعن كثير من التابعين، قال شعبة: هو أحسن حديثاً من الزهرى، وقال أحمد: إذا خالفه الزهرى فالقول قول يحيى، توفى سنة ١٢٩هـ.

***

## جميل بن بصرة بن أبى بصرة الغفارى - رضى الله عنه -

أسلم هو وأبوه وجده، وروى الثلاثة عن رسول الله ﷺ، وكانوا فى الجيش الفاتح لمصر.

قال ابن سعد: أبو بصرة الغفارى صحب النبى ﷺ، ونزل مصر، ومات بها، ودفن فى المقطم فى مقبرة أهل مصر، وبصرة صحب النبى ﷺ، وروى عنه، وابنه جميل ابن بصرة بن أبى بصرة صحب النبى ﷺ أيضا مع أبيه وجده.[1]

---

(١) فتوح مصر ٢٦٠.

## سفيان بن هانئ بن جبير الجيشانى - رضى الله عنه -

حليف المعافر، روى عن رسول الله ﷺ، وبعد فتح مصر سكن الإسكندرية، ومات فيها زمن عبد العزيز بن مروان.(١)

قال ابن حجر: شهد فتح مصر، وله رواية عن على، وكان قد وفد عليه، وله صحبة. قال ابن يونس: مات فى الإسكندرية.

***

## سفيان بن وهب الخولانى - أو أيمن - رضى الله عنه -

بعد أن وفد على النبى ﷺ حضر حجة الوداع، وخرج بعد ذلك فى الجيش الفاتح لمصر، ثم شهد فتح إفريقية.(٢)

تولى إمرة المغرب، وسكن بها إلى أن مات عام ٨٢ للهجرة.

روى سفيان عن رسول الله ﷺ أحاديث منها قوله ﷺ: "روحة أو غدوة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وإن المؤمن، عرضه وماله ونفسه حرام كما حرم الله هذا اليوم".

وروى ابن عبد الحكم حديثاً آخر عن سفيان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تأتى المائة وعلى ظهرها أحد باق". فحمل سفيان إلى عبد العزيز بن مروان وهو شيخ كبير، فسأله عبد العزيز عن الحديث، فحدثه، فقال عبد العزيز: فلعله، يعنى ٦٢ يبقى أحد ممن كان معه إلى رأس المائة.(٣)

***

## شبث بن سعد بن مالك البلوى - رضى الله عنه -

قال ابن يونس: له صحبة، وشهد فتح مصر.(٤) وقيل: شهد بيعة العقبة، وفتح مصر.

---

(١) تولى مصر من عام ٦٥ إلى عام ٨٦ للهجرة.
(٢) الإصابة ٣/٢٦٠.
(٣) فتوح مصر ٣٠٧.
(٤) أسد الغابة ٤/١٦.

روى أحاديث عن رسول الله ﷺ منها قوله ﷺ: إن العبد ليخرج إليه يوم القيامة كتاب فيه حسناته.[١]

* * *

## إياس بن أبى البكير - رضى الله عنه -

هو إياس بن أبى البكير بن عبد ياليل بن ثابت الليثى من كنانة، من السابقين إلى الإسلام.

فقد أسلم ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة وإخوته الثلاثة: عاقل[٢] وخالد[٣] وعامر[٤].

قال ابن سعد: خرج عاقل وخالد وعامر وإياس بنو أبى البكير من مكة إلى المدينة للهجرة.. فلم يبق فى دورهم أحد، حتى غلقت أبوابهم.[٥]

شهد إياس مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وفى فتح مصر كان ضمن الجيش الذى جاءها، وكان من أهل الراية الذين اختطوا لهم بيوتاً فى الفسطاط.

روى حديث رسول الله ﷺ على منبر جامع عمرو، حتى توفى عام ٣٤ هـ.

* * *

## عبد الرحمن بن غانم الأشعرى - رضى الله عنه -

روى عن عمر ومعاذ وغيرهما بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه الناس وهو الذى تفقه عليه التابعون بالشام. كان كبير القدر صادقاً. توفى سنة ٧٨هـ.

* * *

---

(١) الإصابة ٤/٤٧٧.
(٢) استشهد عاقل يوم بدر فى رمضان عام ٢ للهجرة.
(٣) استشهد خالد يوم الرجيع عام ٤ للهجرة.
(٤) استشهد عامر باليمامة عام ١٢ للهجرة.
(٥) الطبقات ٣/ ٣٨٨.